صوت الراوي

ها هي **الراوي** في عددها الثاني بين أيديكم أكثر حماسة، وقد استقبل عددها الأول من قبل قرائها بالكثير من الثناء والتوجيه. إن جماعة **الراوي** تشكر كل الذين ساهموا في دعمها من الأخوة والأخوات وستحاول جاهدة أن تواكب الطموح المعقود على هذا المشروع.

تأمل **جماعة الراوي** من كتاب وكاتبات القصة القصيرة في الجزيرة العربية أن يتواصلوا معها بإمدادها بنصوصهم الإبداعية. فالهدف هو خدمتهم والرغبة في إيصال أصواتهم إلى قارئ العربية حيثما كان. ورغم حرص **جماعة الراوي** على الاتصال بكافة المبدعين، فإن صعوبة التواصل حالت دون الوصول إلى ما نطمح إليه.

إنطلاقاً من هذا العدد تبدأ **الراوي** في صياغة فعل ثقافي تطويري تلقي من خلاله حزمة ضوء كاشف على تجربة مفردة لقاص متميز، نحسب أن تجربته أحدثت

تطوراً نوعياً في مسيرة القصة في الجزيرة العربية. ويسر **الراوي** أن تبدأ في هذا العدد بتجربة القاص المبدع سباعي عثمان الذي غيبه الموت جسداً، لكنه بقي حاضراً في الذاكرة والوجدان والفعل الأدبي.

تنشر **الراوي** في هذا العدد قصة الزميل حسن النعمي (رحيل الأستاذ بخيت) التي ظهر عنوانها في العدد الأول، لكن أعيد في مكانها خطأ نشر قصة الزميل محمد علي قدس (ظمأ الجذور).

وفي سياق آخر، تبتهج **الراوي** بصدور دورية الإبداع الشعري **عبقر** ضمن مشروع نادي جدة الأدبي الثقافي للاحتفاء بالإبداع شعراً ونثراً. إن ولادة **عبقر** الشعر في الزمن الراهن هو اعتلاء للإنسان فوق قلقه وإحباطاته، ليكون متسامياً فوق ما هو مألوف ومستهلك، ومنطلقاً إلى فضاء يكون فيه للشعر القيمة السامية.

مرة أخرى نجزي لكم جزيل الشكر قراء وكتاباً على صنيعكم الثقافي الذي يلامس حد السماء بهاء وصدقاً.

نسأل الله للجميع دوام التوفيق.

جماعة الراوي

سباعي عثمان: الراوي الذي يروي رغم رحيله

ها نحن مرة أخرى نقف أمام سباعي عثمان، نقرأ ذاكرته الإبداعية كما يجب أن نفعل دائماً، وهل بوسعنا أن نكون أقل وفاء بعد كل هذا الحين الطويل من الصمت؟ سباعي وأنت هناك نتذكرك إبداعاً وكلمة صادقة، نتذكرك راو غيبه الموت، لكن الموت خلّف حنجرتك هنا، بيننا، من أجل أن نتحلق حول منبر إبداعك لتروي لنا شكل وجوهنا ولون قهوتنا الصباحية ورائحة الحب التي لم نعد نستشعرها.

فيما يلي من صفحات سننصت لصوت سباعي قاصاً من خلال قصتين هما (دوائر في دفتر الزمن) و(البقعة والضوء)، وسننصت له شاهداً على عصرنا من خلال حوارات أجريت مع الكاتب ونشرت في جريدة اليوم وعكاظ والندوة. بالإضافة إلى ذلك، سنتوقف عند بعض المقولات والشهادات النقدية حول تجربة القاص سباعي عثمان.

سيرة القاص بقلمه

بدأت حياتي كمصحح، وعملت أولاً في جريدة عكاظ قبل عهد المؤسسات. وعندما تمت عملية تنظيم الصحف وتحويلها إلى مؤسسات عملت في جريدة الندوة، ثم جريدة المدينة حيث بقيت فيها من ١٩٦٤ إلى ١٩٧٩. وخلال هذه الفترة تنقلت في مختلف الأقسام الصحفية، وأشرفت على الصفحة الأدبية التي كانت أشهر الصفحات الأدبية في الصحف المحلية وكانت تحمل اسم (دنيا الأدب) التي كانت حقيقة منتدى فكرياً وعطاء ثراً في الساحة الأدبية. اكتشفت في هذه الأثناء موهبة كتابة القصة، وقد كان ذلك بالصدفة من خلال زاوية يومية كنت أتناوب الكتابة فيها مع عدد من الزملاء في جريدة المدينة، ومن ثم انطلقت. وقد كانت هذه البداية خلال الستينيات الميلادية، ومن ثم جمعت مادة هذه الفترة من الكتابات القصصية في مجموعتي الأولى (الصمت والجدران) التي صدرت في عام ١٩٧٩م. أما المجموعة الثانية (دوائر في دفتر الزمن) فقد صدرت في عام ١٩٨٦م.

أما عن عملي في الصحافة فقد استمر لكن في صحف أخرى، فقد انتقلت إلى جريدة البلاد حيث عملت لمدة عامين، ثم انتقلت إلى جريدة عكاظ مديراً للتحرير لمدة سنتين أخريين، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مؤسسة تهامة مديراً لإدارة النشر لمدة سنتين، بعد ذلك عدت إلى جريدة المدينة كأنما تشدني شداً واستمر إشرافي على ملحق الثقافة والأدب. وأخيراً استقر بي المطاف في جريدة عكاظ. في هذه الفترة انتسبت إلى عضوية كل من نادي جدة الأدبي ونادي القصة السعودي، وجمعية الثقافة والفنون بجدة.

سباعي عثمان
(١٩٣٧ - ١٩٨٨)

دوائر.. في دفتر الزمن..

شارع الملك عبدالعزيز بجدة.. منتصف النهار، والجو، حار، رطب.. أقف - متوتراً - على الرصيف.. يقف - حولي - عشرات.. نحاول عبور الشارع إلى الطرف الآخر.. يطول وقوفنا.. تنشأ أزمة حقيقية، ما تلبث أن تتحول إلى إحساس مشترك.. تهدر السيارات. وسط الشارع، في سيل لا ينقطع عيوننا القلقة تستجدي وجوه السائقين، دون فائدة أتحسس جيبي أبحث عن قطعة قماش من الجورسيه، دسستها - بعناية - قبل أن أغادر البيت. تنزلق بين أصابعي، فأطمئن لوجودها، وأفكر.. حسنا: (أين أجد هذا النوع نفسه، وكم يستغرق ذلك من الوقت..؟) أقرر ان ساعة تكفيني.. أشك في تقديري، أمضي في خطى عجلى.. أقتحم الزحام وفي ذهني عشرات من الصور المتناقضة تتداخل بعضها في بعض..!

أحاول لفظ اجترار ما تبقى من أعقاب الأشياء في داخلي أزفر زفرة طويلة (آ.. ه.. يا نوار).. أسمع أنينك

خلف الجدار تطويني أصداؤه.. أتألم.. أفرد أوراقي.. أطويها.. أفردها، على مدى الكون، والزمن.. أكتب.. أكتب.. أملأ عيني من الفراغ حولي.. تنشأ فيهما دمعتان، حائرتان، ما تلبثان أن تسقطا على مهل.. أتعب في معالجة عشرات الدوائر، الغامضة.. المعقول، واللامعقول.. كل شيء يفقد مضمونه.. أضحك، وأرسم دوائر جديدة على دفتري، والزمن أسيان من حولنا.. أعصر ذهني.. أفقد التركيز في الأشياء.. أضحك عند قمة العجز الإنساني وأقول: (لعنة الله على القلق).. فيتلبسني كالشيطان.. أحس بك يا "نوار" ، دفقاً حاراً في شراييني.. تنصهرين في تكويني، فيتجدد نسقه الرتيب.. تتحولين: (أنا.!) وأتحول: (أنت!).. يتحول كلانا إلى جسم شفاف ينفذ منه - إليه كل شيء!

لاتزال قطعة الجورسيه في جيبي، تنزلق، كلما تحسستها.. تنبعث رائحة زيت محروق، وسط روائح متناقضة، وتختلط بروائح الرطوبة، والبحر.. لاتزال عيوننا، تستجدي.. تتطلع، والسيارات، لا تكف عن الهدير.. أرفض إصرار الآلى على إلغاء الإنسان.. تحدثني نفسي أن أرمي بكامل جسمي وسط الشارع.. أتردد.. أجبن: (لا مناص من الانتظار) يتضايق الناس من

حولي، ويتكثف إحساسنا بالأزمة.. تراودني فكرة اقتحام الشارع مجدداً.. تقول (نوار) أنت مجنون وتجتاح عالمي كالاعصار تبعثر أخيلتي تقترب مني أكثر أشدها إلي نلتحم نغفو طويلاً ثم لايلبث خيالنا أن ينفجر مثل بالون ضخم يلفني القهر أزفر زفرة طويلة (آ.. ه.. يا نوار.. أسمع أنينك خلف الجدار.. تطويني أصداؤه فأتألم.. أفرد أوراقي على مدى الزمن وأكتب.. أكتب.. أملأ عيني من الفراغ حولي.. أضحك، عند قمة العجز الإنساني، وأقول: (أحبك يا نوار) تفرح "نوار".. تبتسم.. نحزن معاً.. أشيح بوجهي لأخفي ضعفي. تدفن رأسها في صدري وتتشج بحرارة. يدور رأسي، يدور بي المكان أصرخ: (نوار.. يا جراح الأيام.. يا شوق الأمس، والحاضر، والغد.. يا هم الليل، والنهار) يتبدد صراخي في الهواء، وأتفكك.. ترق (نوار) أكثر.. أمسك الدنيا بكلتا يدي حتى لا تسقط.. أضمها في حنان.. تدفع من أعماقها زفرة حارة تتبدد وسط الأشياء من حولنا.. يزدحم الرصيف أكثر.. يتزايد عدد الواقفين.. تمر دقائق متوترة وأبدو كالأبله أرثي لنفسي.. أسأل (أين نوار) متى وأين أنا منها؟ كأن كلاً منا في دائرة مغلقة..!

التفت خلفي وعلى جانبي.. أرفض إصرار الآلة

على إلغاء الإنسان.. أرفع كلتا يدي إلى أعلى.. أقتحم الشارع ألقي بنفسي وسطه في إقدام حقيقي.. تصرخ كوابح السيارات على الأسفلت.. تتدلى عشرات الرؤوس من نوافذها تصرخ (مجنون) أتذكر (نوار) تقول: (أنت مجنون) يندفع سيل من المشاة يقطعون الشارع.. ألتفت خلفي أقرأ على وجوههم ملامح الارتياح أقرأ على وجوه السائقين ملامح السخط أمشي، في زهو أعبر الشارع إلى الرصيف الآخر أصعد درجات (عمارة الملكة) أفكر في السخط والارتياح.. تنشأ في ذهني قضية ملحة أتساءل: (مع أينا الحق.. أم تتشكل المقاييس وفق مصالحنا، وتأخذ شكل الحق والعدل، أو شكل الظلم والباطل؟) أقطع مشواراً طويلاً وأنا أدير هذا الحوار في ذهني. أهبط درجات (عمارة الملكة) من الجهة الأخرى.. أتساءل (ما مقياس الصواب، والخطأ.. أين موقعنا منهما؟) أقرر: (لا يمكن أن يخضعا للنسبية، وإلا تنقلب موازين الأشياء) أطمئن إلى هذه النتيجة، وأتحسس جيبي، مجددا. أحس بقطعة (الجورسيه) العينة تنزلق بين أصابعي (حسناً سأبحث عنها.!:

***

أحاول لفظ اجترار ما تبقى من أعقاب الأشياء

حولي.. أتذكر يقول لي مدرس الهندسة (دفاترك وسخة!) أداري خجلي بابتسامة باهتة.. يربت على كتفي ويضحك.. ربما.. ليبدد حالة الحرج التي أوقعني فيها. (نوار) تقول: (أنت مجنون) وتنخرط في بكاء مثير.. أقول: (ما أسخفني.. لا تبكي يا "نوار"). فتشنج.. ترتج أضعلي. تحرقني دموعها مثل قطرات (أسيد): (كفى نوار.. كفى).. تتباطأ أنفاسها، وتستكين: (اضحكي يا نوار.. اضحكي..!).

تقول: (كيف.. وأنت بعيد.. بعيد..!) تلفني حيرة مميتة.. أقول: (لعنة الله على القلق فيتلبسني كالشيطان.. أصطدم ببائع اللبان في الزحام.. لا ابالي.. لا يبالي.. ربما.. لم يحس أحدنا بالآخر.

(شارع قابل) يمتلىء بالناس، وينتفخ مثل أنبوبة معجون الأسنان.. أدخل معرضاً، أنيقاً.. أسأل البائع: (هل أجد عندك جورسيه مشجر؟) وأريه العينة.. أقلب دفتر (كاتالوج) أمامي.. وأدقق.. أقارن.. أشك في الخامة.. يقسم بأن بضاعته يابانية. أسأله: (هل هو أصلي، أم تقليد؟) يقول: (السوق مليئة بأنواع مختلفة، ولكنها من هونج كونج، وتايوان، وسنغافورة) يدور.. التقليد؟ لماذا لم يقولوا لي أن نوعيات (الجورسيه) مختلفة، وأنها تأتي من عدة مصادر.

أحـاول التركـيز. أمشـي كالأبلـه.. أسـمع بـاب المعرض الزجاجي يتأرجح من خلفي بنعومـة.. أفكـر فـي اليابـان، والجورسيه، والحـرب العالميـة الثانيـة، والقنبلـة الذرية، وفيديو (توشيبا).. أقـول: (مـا أتفـه الحيـاة) أزفـر، زفـرة طويلـة/ (آ.. ه.. يـا "نـوار).. أسـمع أنينـك خلـف الجدار.. تلفني أصداؤه، فأتألم، وأنت بعيدة.. بعيدة).

الشارع.. الزحام.. الضجيج.. نداءات الباعة الذين يفترشون الأرصفـة تكـاد تصـم أذنـي.. أحـاول أن أخلـص جسمي من بين الأجسام المتزاحمة بصعوبة بالغة.. لاتزال مشكلة القماش معلقة.. اليابـان.. هونـج كونـج.. سـنغافورة تايوان.. تقول (سيريلا) – الشغالة الفلبينيـة – أن (مـانيلا) أجمل من هونج كونج.. حسناً.. لتكـن (مـانيلاً) أجمـل مـن هونج كونج لا يهم.

أدخـل مكتبـة وسـط السـوق.. أتصفـح عنـاوين المجلات.. أحـس برأسـي يكـاد ينفجـر.. أتحسـس جيبـي.. أبحـث عـن عينـة القمـاش.. أبتسـم.. أدخـل معرضـاً، وأخرج.. أتنقل من معـرض لآخـر، دون فـائدة.. أحتـار.. أتذكر عمي، وفي يده (لي) الشيشة العدني اللامع، يتلـوى، كالثعبان وسط الغرفة.. يقول لي: "والله.. انك خُرْج" ثم يضحك، ويسحب نفساً طويلاً من الدخان، لايلبث أن يتبخر

فوق رؤوسنا – دوائر.. دوائر – ينزعج.. يسأل عما إذا كانوا قد بدلوا (رأس الشيشة).. تقسم الشغالة الفلبينية (روزي) أنها بدلته بـ (تعميرة) جديدة.. يجذب نفساً آخر، ويقول لها: (والله.. إنك لكده) تضحك (روزي) وتهز برأسها، في بلاهة.. يسحب عمي نفساً جديداً، ويقول: (لا والله صادقة.. بلكن اللي، موطيب).

أسحب نفسي سحباً، خلال الزحام.. تتعثر خطاي.. أحس كأنني أختنق.. مالي أنا، والجورسيه. . أفكر في الحق، والعدل.. تجتاحني حالة من الانفعال، والحزن.. أزفر، زفرة طويلة: (آ.. ه.. يا نوار.. أسمع أنينك خلف الجدار.. أتلوى.. أتفكك).

تتداعى.. إلى ذهني صور كثيرة، أعجز عن ملاحقتها.. أبرر بعض مواقفي، فأرتاح، وأبحث لبعضها الآخر عن عذر.. ربما.. بأنانية.. ومغالطة، فيأبى عقلي أن أرشيه.. ينشأ بيننا جدال عنيف، ينتهي – أو لا ينتهي – بنوع من سوء التفاهم.. أرسم في ذهني وجه نوار.. أحرك الظلال، والأضواء المنكسرة عبر الأشياء، فتتداخل.. تتعاكس.. أقول: (لعنة الله على القلق) فيتلبسني كالشيطان.. أفكر.. أفكر.. تبدو الأشياء في مخيلتي – دوائر.. غامضة.. افقد خطاي.. أجد (نوار) بين يدي في

كل شيء.. أضمها بعيني في حرارة فتستكين ونغفو معاً، إغفاءة طويلة.

أحاول لفظ اجترار ما تبقى من أعقاب الأشياء في داخلي.. يشتد الزحام، ولا أثر للجورسيه المشجر (الأصلي).. أتذكر عمي، وهو يتكىء على مسند (ولي) الشيشة، يتلوى كالثعبان، وسط الغرفة.. يسحب نفساً طويلاً من الدخان، وينفثه.. تحرقنا عيوننا.. يضحك عمي، ويقول لي: (والله انك خرج) مالي أنا، والجورسيه.. سأقول لهم: (مش طلع الجورسيه حقكم ده مقلب) ربما سيقولون لي (لا.. والله.. ما قصرت) سأغالط طبعاً.. سأدخل في عيونهم.. سأقول لهم إن للقماش أكثر من مصدر (اليابان، وهونج كونج، وسنغافورة) واسألوا (سيريلا).. إنها تقول إن (مانيلا) أجمل من "هونج كونج" سأقول لهم: إنني اصطدمت ببائع اللبان، وفكرت في الحق، والعدل، والحرب العالمية الثانية، وجائزة (نوبل) للسلام، وفيديو العلمين، ولا أثر للقماش.. سأقول لهم.. أنا لست أفضل من الجنرال رومل، أو حتى بائع اللبان.. لن يتوقف الكون عن الدوران، دون قطعة القماش الجورسيه.. ولن تتعطل مصانع النسيج في اليابان.

أشم رائحة (جراك).. أسمع (كركرة الشيشة)..

يقول عمي: (إيش لك انت والجورسيه).. أقول له: (اسكت.. اسكت.. مش أنا طلعت خيبة).. يضحك وأضحك أنا، ودخان الشيشة يتلوى فوق رؤوسنا – دوائر.. دوائر – نتابعه بعيوننا، ويتشعب الحديث، مرحاً، وممتعاً، في شؤون كثيرة.

أختنق في الزحام.. أتذكر (نوار).. أضحك أنا، عند قمة العجز الإنساني وأقول: (أنت قدري يا "نوار") تشهق هي، فأظمأ أنا أكثر، ويعوي وجداني. . يلفني الفقر.. أزفر، زفرة طويلة: (آ.. ه.. يا نوار) أملأ عيني من الفراغ حولي، وأتألم.. افرد أوراقي.. أكتب.. أكتب.. حكاية للزمن.. تفرح.. "نوار" نحزن معاً.. تدفن رأسها في صدري، وتنشج بحرارة.. يدور رأسي.. يدور بي المكان.

يشد الزحام أكثر.. أقرر أن أعود.. لا فائدة.. لا أثر للقماش، وإذا دعا الأمر.. فسأنفي وجود اليابان على الكرة الأرضية.. أكثر من ذلك.. سأقول لهم: لا أثر للشمس.

أعود أدراجي وسط الزجام.. وطيف (نوار) لا يفارقني.. أقول.. هكذا يتبدد الزمن من خلفنا.. أتساءل: (كم مضى علي من السنين وأنا أمشي في الأرض.. ياه!!)

أقرر أنني قطعت آلاف الكيلومترات إلى كل الاتجاهات.. لازلت أنمو، كالأشجار.. ربما.. أضمر، وأتضاءل.. أمضي نحو الكهولة، أو لعلها تسعى إليّ.. حسناً.. أتذكر عيد ميلادي، الذي احتفلت به - لأول مرة - في الربيع الماضي.. أضحك.. لا أدري.. لماذا كنت مقبلاً على الحياة.. أذكر أنني - وقتها - سخوت على نفسي كثيراً.. علقت ألوانا من الزينات، وعددت عدداً كبيراً من الأصدقاء.. أنشدنا، معاً (هبي بيرث دي تويو.. هي بيرث ديي تويو) وأطفأت شمعات مغروسة وسط (تورتة) كبيرة، ضحكنا في العتمة.. صفقوا، وصفروا، وغنوا، ورقصوا، أيضاً.. أتذكر أنني أحسست - وقتها - بانقباض، فجأة.. استغرقني حالة من التأمل، والتفكير.. أدركت أنني فقدت عاماً من عمري، لن يعود أبداً.. أحسست أنني حزين جداً.. سألت نفسي: (لماذا أضحك، وأمرح، وأقبل على الدنيا بمثل هذا الابتهاج.. قررت أن فقد عام من عمري أمر جلل. فعلاً.. معناه أنني اقترب من النهاية.. الموت.. راعتني النتيجة.. دار بي المكان، وتعجبت.. كيف أحتفل بفقد عام من عمري.. كان صخب الأصدقاء من حولي يبعثر أفكاري.. وقفت أتطلع إليهم، في برود.. فجأة، توقفوا عن صخبهم، انتبهوا. إلي في ذهول، كأنهم يرونني

لأول مرة.. ربما، لأن ملامحي، كانت تتبىء عما بداخلي من حزن، ومرارة.. قلت لهم، في جدية:

(أيها السادة.. معذرة.. لقد انتهى الحفل، وكفانا تزييفاً للحقائق.. إنني أفقد عاماً من عمري لن يعود أبداً.. هل تذكرون معنى هذا.. إنه الموت، يخطو نحوي خطوة جديدة).

استمع الجميع، في ذهول، لا تطرف لهم عين.. أحسست بمجد حقيقي.. خيل إلي أنني أخطب في مهرجان أدبي.. استعدت أنفاسي، واعتدلت في وقوفي، انتباني حماس شديد.. توقفت لحظات، وعيون الأصدقاء تمسك بشفتي بدهشة، تنتظر المزيد من المفاجآت. فجأة أسعفتني الذاكرة.. تابعت في جدية: (أيها الناس.. اسمعوا وعوا.. إنه من عاش مات، وكل ما هو آت آت.. ليل داج.. وسماء ذات أبراج).. كنت أتجه بكامل جسمي إلى كل ركن في الصالة.. وأشير بيدي هنا، وهناك.. أرفعهما، وأخفضهما، وتتبدل ملامح وجهي مع كل كلمة.

استطردت بحماس أكثر: (ما بال الناس، يذهبون، ولا يرجعون.. أرضوا بالمقام، فأقاموا، أم تركوا، فناموا) توقفت فجأة.. يبدو أنني نسيت بقية الخطبة.. ولكن البديهة أسعفتني بسرعة، فتابعت:

نعم.. أيها السادة.. لقد انتهى الحفل.. شكراً لكم

جميعاً.. ولا أراكم الله مكروهاً في عزيز لديكم.. و.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

نظر بعضهم إلى بعض، وخرجوا في ذهول.. دخلت غرفتي.. ارتميت على سريري، أعد سنى عمري التي مضت.. وأفكر في سنيه التالية.

***

أحاول لفظ اجترار ما تبقى من أعقاب الاشياء، في داخلي، خلال الزحام.. أتحسس جيبي.. أبحث عن قطعة القماش الجورسيه.. أرفض إصرار الآلة على إلغاء الإنسان.. أفكر في الحق، والعدل، وأبواب الزجاج التي تتأرجح من خلفي في نعومة.. أقف على الرصيف لحظة.. أتطلع يميناً، ويساراً.. السيارات لا تكف عن الهدير، في سيل لا ينقطع.. أرمي بنفسي دفعة واحدة وسط الشارع.. تصرخ كوابح السيارات.. تتدلى رؤوس من النوافذ.. تصرخ في وجهي: (أنت مجنون).. أتذكر (نوار) تقول لي: (أنت مجنون).. وتشهق.. أعبر الشارع إلى الطرف الآخر، في زهو.. يندفع خلفي سيل من المشاة.. أقرأ على وجوههم ملامح الارتياح.. أتجه إلى الموقف.. أبحث عن سيارتي.. أدور في المكان ساعة كاملة.. يسألني: (أين أوقفتها) أقول له: (لا أدري) يتعجب يتلفت حولي.. يقول

لي: (حتما، ستجدها، حيث أوقفتها).. يسألني: (ما لونها؟) أقول له: (مشجر) يتعجب (هه) أقول له.. (معذرة.. كنت أبحث عن قماش (جورسيه مشجر) قالوا لي.. انه يأتي من اليابان، ومن هونج كونج، ومن سنغافورة، و لم أعرف كيف أفرق بين الأصلي والتقليد.. فتركته، ومضيت.. أليس هذا أفضل) يضحك.. أضحك أنا، في بلاهة.. يقول لي: (أنت مجنون).. يضحك.. أقول له (هل تعرف "توار") إنها - أيضاً - تقول لي: (أنت مجنون).. هل زرت مانيلا؟.. يغرق في الضحك "سيريلا" تقول: إن مانيلا، أجمل من هونج كونج.. يواصل الجندي الضحك.

أدور أنا في المكان مجدداً.. أتلفت حولي.. لا أثر للسيارة.. يسألني الجندي.. كم رقمها: أقول - في حيرة - لا أذكر أنني قرأت رقمها.. أتذكر قطعة قماش الجورسيه.. أريه العينة.. هذ هي.. يمد يده ليأخذها: (ما هذه؟) أرفض بعنف.. يضحك في دهشة.. يواصل الضحك.. يربت على كتفي، في عطف حقيقي.. يقول لي.. تذكر جيداً، أين أوقفت سيارتك.. أحتار.. أقول له: (في الواقع، إنني اصطدمت ببائع اللبان، وفكرت في الحق، والعدل، والجنرال رومل، وجائزة نوبل للسلام.. ولكنني لم أجد القماش.. هل أنا (خرج).. أجبني.. هل أنا (خرج) هه؟).

أمضي منفعلاً.. والدهشة تعقد لسان الجندي أبحث هنا، وهناك.. أبتعد .. أوغل في البحث.. فجأة أعود مهرولاً إلى حيث يقف الجندي.. أبتسم.. أعتذر إليه.. أقول له: (هذه، هي، سيارتي) يشير إليها.. يضرب بيده على "رفرفها" ويسأل "هذه؟" أقول "نعم" يضحك.. نضحك معاً.. يخبط كفه بكفي.. أضحك في بلاهة.. يقول لي: (يا أخي.. دوختني معاك).. أعتذر إليه مجدداً، وأدير المحرك.. أغادر المكان في هدوء، وأنا أتطلع إلى الفجوة التي أحدثتها من خلفي في الموقف.. مثل ضرس مخلوع.

البقعة.. والضوء..

(١)

سهر الليل. عاش قلق النهار. يرسم، ويخطط، ويقيس الأبعاد، ويتصور الالوان والأضواء.. كان مخاضاً متعباً.. كان الفراغ الكبير، أكبر من احتوائه.. الصوت.. الضوء.. اللون.. المعاناة.. كانت هذه هي مواد اللوحة.. الصورة، تغرق في العمق.. تغيم.. تتبدد.. فكر طويلاً عجز عن رسم ملاحها في ذهنه قبل أن يمسك بالفرشاة.. تجسدت في داخله حقيقة مفحمة.. قال.. إن الإنسان يفتقد ذاته، عندما يفتقد القدرة على التصور.. راعته المعادلة. تأملها لحظة، وفكر.. تساءل: ماذا يحدث عندما نفتقد القدرة على التصور.؟

أحس بإعياء شديد.. غرق في الضياع. تاه في عتمة كئيبة.. قرر أن العجز موت، وافتقاد الثقة لدى من نحب موت أيضاً.. تساءل عما إذا كان خياله قد اشتط

بعيداً.. آه.. يا زمان الترقب، والذهول، والعيون الزائغة في اللاشيء.. كانت هذه الإجابة المقهورة للحدث الحزين!!.. كان أشد ما يكون حاجة إلى لحظة راحة حميمة.. لكن تبدد الفرح فجأة. وذبل ذلك الضوء الذي كان يتمدد في البقعة الكابية في عتمة النفس.. غاص في جراحه متعباً حزيناً.. أحس بسائل دافىء يغسل دواخله.. استفاق من دوار يتأمل ما كان، وما سيكون، وما لم يكن أيضاً!!

شعر بأن موضوع اللوحة تكامل في ذهنه وأن بوسعه أن يعمل الآن.. حمل "باليتة" الألوان.. أمسك بالفرشاة.. وقف يتأمل خطوط اللوحة.. يوزع الأبعاد.. يقيسها.. يوازن بين نسبها..

آه.. يا زمان الترقب، والذهول.. اجتاحه حماس شديد.. انفعل مع اللوحة.. تصبب العرق على وجهه.. وقف طويلاً.. لم يأكل.. لم يشرب.. غابت الشمس.. كان إحساسه يتدفق بغزارة على اللوحة.. على الألوان.. على الأضواء.. على الملامح. انتصف الليل، تورمت قدماه.. أحس بأنهما عاجزتان عن حمله.. أنهى لمساته الأخيرة بكل حب، وبقي يتأمل اللوحة.. ارتاح لانسجام الضوء، واللون، والملامح، والصوت المهموس خلالها.. الوجه

رائع ومذهل حقاً.. كان هادئاً جداً. رقيقاً جداً. يضج بجمال وقور، ذي جذور عميقة.. العينان حزينتان، تتضحان بحنين لا حدود له.. تحس بأنهما تغريانك برحلة مشوقة إلى المجهول في داخلهما. استراح لهذه النتيجة. ألقى بنفسه في إعياء شديد!!

وقتها لم تسعه الدنيا.. ولم يكفه الكون كله موضعاً، يسع ما في جوانحه من عوالم ملونة ورائعة.. أحس بذلك الفراغ الرهيب يتحول إلى موضع احتواء حميم.. قال إننا نعيش زماناً جافاً بلا طعم، وأن مواضع الاحتواء في النفوس، لم تعد تضيء.. عاد ذلك السائل الدافئ يغمر جوانحه بحرارة.. تفجرت في أعماقه نشوة سخية برغم الجراح.. قال.. آه.. يا زمن الجفاف.. يا زمن القحط.. برغم كل شيء يحدث كل شيء.. يموت كل شيء.. ويحيا كل شيء!!

(٢)

عاتب نفسه، وهو يذرع الليل الذي يطويه بشتى الأخيلة، والهواجس، وطيوف ملونة تلاحقه.. سرح مع الأحداث المتزاحمة عبر الألم.. عبر جراح لا يبالي بأي شيء. فكر طويلاً.. قال.. حين يعيش الإنسان حالة

ارتواء، تنشأ في أعماقه، أحاسيس رائعة، لكنها تفسد مسار التفكير.. قال.. ربما، من خلالها، نرى الأشياء.. نحسها.. نلمسها.. من خلالها، نحب، ونكره، وتكون هي، مركز الرؤية الذي يحدد الابعاد، ويقيس التوازنات، ومواقع الأشياء، وعلاقتها بما حولها بصورة تحقق انسجاماً فريداً.. قال.. إن عطاء الإنسان، لا يمكن أن يكون منحة، ولا يمكن أن يكون مناً.. أحس بأنه يتهاوى أكثر، ويغرق أكثر، ويسقط في هوة بلا قرار.. قال.. لا شيء أقوى من الألم.. عاد اليأس يحطم كل شيء، ويمحو كل شيء، ويجرح كل شيء.. دون أن يبالي بأي شيء.. دون أن يبالي بأي شيء.. أخذت الهواجس بخناقه. طوته الظنون.. لم يستطع أن يتصور كل شيء يتحطم في دواخله.. أحس بسخونة تسري في جسده.. انتفض.. وقف دفعة واحدة.. انتصب أمام اللوحة يتأملها – الوجه رائع الحزن.. يكسوه جمال ذو جذور عميقة.. العينان شديدتا التعلق بالداخل.. تشعان بريقاً منطفئاً يوحي بعوالم مذهلة.. ممتلئتان باستغاثة يائسة.. انهما تغريان بسفر إلى المجهول.. سفر بلا عودة.. تأملهما طويلاً, برغم انفعاله.. برغم توتره.. برغم الغضب الذي اجتاحه دفعة واحدة.. قال.. يا لروعة هذا الحزن.. انطلق في آفاق زاخرة بالمتناقضات.. قال.. إيه.. يا زمن القحط والجفاف..

يـا زمن الألم الـذي لا يرحـم.. زمـن الحنيـن الـذي يـنزف دون معنى.. راعه انسجام الخطوط والألوان والأضواء.. قرر أن خلفيات الأشياء تضفي عليها حياة جديـدة.. الوجـه لا يكـف عـن ضجيجـه الصـامت الوقـور.. ضجيــج يكـاد يسمعه.. العينان المتعبتان تسترخيان، في لا مبالاة مميتة.. الـفم الدقيـقـة، العـامـرة بالطـراوة، يلـوذ بصمـت وحيـرة، لا متناهيـة الشـفتان، تحتضنـان سـراً رائعــاً كأنــه وديعـة غالية.. قال.. الله.. الله.. كم تقسو الجراح.. امتلأت عيناه فجأة بالدموع.. قاوم أن لا تسقط.. أحـس بسـخونة تسـري فـي أوصالـه.. انتفض جسـمه.. أحـس بدمعتيـن، تتمـددان بملء عينيه.. اهتزت الرؤية فيهما.. قرر أن يتأمل أكـثر.. عله يستريح. قـال.. إن عطـاء الفنـان قطعـة مـن عذابـه.. يستله من روحه.. تنفس بإحســاس مقهـور، وهـو يسـتفيق، تواً، من دوار.. غرق في عينيها.. أحس بأنــه يدخـل حالـة تشبه التصرف.. بقي يمارس التأمل، ويتبدد فـي الملامـح، ويتلاشى في الحيرة اللامتناهية..

(٣)

عـاد يجـر رجليـه خائبـاً، وشـيء مـا، فــي حلقــه، يخنقـه.. الجـو حـار، ورطوبـة مالحـة تدبـق الأشـياء مـن حولـه.. مسـح الفـراغ أمامــه فــي نظـرة زائفـة.. أحـس

بالضياع أكثر.. نبت في داخله سؤال حائر.. لماذا؟ لمـاذا؟ شد شـعره.. ضغط على صدغيه بقوة.. اهتزت الرؤية أمامه.. تمايلت الأشياء.. انحنت.. استدارت، في أشكال مشروخة في كل اتجاه.. خلع نظارته، فبدت عيناه رخوتين، زائغتين.. مسح عدستيها بطرف ثوبه.. أعادها إلى موضعها.. أحس ببعض الراحة.. اعتدلت الأشياء، واستقامت.. قال.. إن الأشياء تميل، وتنحني، وتستدير، عندما تكون عيوننا غائمة من الداخل.. فكر في الوقت.. كم الساعة الآن؟.. تساءل، دون أن يعني ذلك فعلاً، فلم يعد للزمن معنى، ولا لليل، أو النهار. أحس باختناق شديد.. فكر في لوحته.. قال إنها عصارة الروح وعمق الجراح.. كانت ماتزال منصوبة كما هي.. جامدة كما هي.. قال إنها فقدت وهجها، واستكانت لا يمكن أن تكون الروح التي تحركت في داخله، هي نفس الروح التي تناصبه هذا العداء الناعم الذي يغتال كل شيء فيه.. حتى الأمل.. هل ذبل ضوءها.. هل تبددت ظلالها الغافية في الملامح الحزينة.. هل جف نبع عينيها الساهمتين.. أحس بأن حالة من اللا إقبال، واليأس تحيط به من كل جانب. فكر فيما وراء كل لمحة.. كل ارتخاء جفن.. كل نبرة حزينة.. فكر فيما وراء الأشياء.. سرح بعيداً.. بعيداً، في محاولة لتقييم الأحداث من جديد.. قرر أن لا جدوى من

كل طروحات الماضي، ولا تشنج الحاضر، أو حتى، إسقاطات المستقبل.. تأوه في حزن يائس، وتساءل.. لماذا يتحول طعم الأشياء إلى مرارة.. تبدد السؤال الحائر في نفسه، دون معنى، انزلقت نظارته عن موضعها. أعادها في ضيق.. طرفت عيناه بسرعة.. شعر، كأنه يعاني من سوء تفاهم مع الأشياء.. تذكر اللوحة.. تذكر أضواءها، والألوان، وكل خلفياتها الموحية.. كل مغريات السياحة الرائعة في أرجائها البعيدة، والقريبة. قال.. يا لهذه الدنيا الساحرة.. يا لهذا الحزن الحميم.. استلقى في عياء شديد.. أطلق لعينيه العنان، تذرعان السقف، في لهو عفوي لذيذ.. فجأة كانت أمامه وجهاً لوجه.. يا لروعة اللحظة.. كان أول ما شده وجهها النقي الذي يتدفق بالعنفوان.. واستغاثة يائسة، ماتزال تتلاحق، دون جدوى.. جمع كل الخطوط التائهة في السقف.. كل الشقوق.. كل الآثار القديمة، والأضواء المائلة، والظلال المتكسرة، وخيوط العناكب المعلقة، هنا وهناك.. اتخذ منها خامات طبيعية جديدة.. بدأ يرسم بها في حماس.. عيناها، حالة الانكسار والذهول الرائعة فيهما.. استدارة الوجه العفوية دون حدود واضحة.. شفتاها الحائرتان المفعمتان بالعافية، برغم التوتر الذي يكسوهما.. برغم كل شيء.. وشعر غزير مائل إلى الحمرة، بعثرته رياح عابثة، فثار، وجن جنونه

في كل اتجاه.. ظل يرسم، ويرسم في حماس، حتى أصبحت حقيقة كائنة.. طيفاً رائعاً يملأ إطار السقف بكل أبعاده.. حتى أحس بها تتحرك.. تبتسم.. تغفو في خدر لذيذ.. شعر براحة لا حدود لها.. تحدث إليها طويلاً.. قال كلاماً كثيراً، وقالت هي كلاماً كثيراً، أبهجه حتى العظم.. ثم.. لا يدري إلى أين اتجه الحوار..

حـوار

* ما هي المكونات الأساسية في شخصية سباعي عثمان كأديب؟

- المكونات الأساسية، ربما يستطيع الناقد أن يحدد ذلك من خلال أعمال الأديب ولكن ربما لو قلت المكونات الثقافية لي، أستطيع أن أقول إن أول مكون لي حقيقة هو القرآن الكريم الذي أدين له بفضل كبير جداً في تأسيسي اللغوي والثقافي أيضاً حيث فتح لي أبواباً كثيرة وواسعة جداً في أن أنطلق إلى قراءاتي المتعددة وإلى فهم هذه القراءات المتعددة وإلى فهم هذه القراءات برؤية واضحة وبرؤية متعقلة.. فأنا لا أتصور أن أديباً يستطيع أن يمارس ميوله وهوايته في هذا المجال بدون ثروة ثقافية كبيرة.. وقبل ذلك ثروة لغوية كبيرة.. وتمكن من ناحية الكلمة.. لأن اللغة هي وعاء الكاتب الذي يقدم فيه عمله للناس ولابد أن يكون هذا الوعاء متيناً وقوياً ونظيفاً من الأخطاء.. أخطاء الكلمة.. أخطاء التعبير.. إلخ.

* تاريخياً إلى أي جيل تنتمي أنت؟

- أستطيع القول أنني من جيل ما بعد (ابراهيم الناصر) الذي اعتبره منطلق القصة القصيرة السعودية.. وأنا من الجيل التالي بعد ابراهيم الناصر..

* إذن نعتبركم من الجيل الثاني؟

- لا.. من الجيل الثالث.. فالجيل الأول يبدأ بأحمد السباعي والثاني بابراهيم الناصر.. لكن هناك ملاحظة هامة، وهي أن الجيل الثاني "مرحلة الناصر" قليل العدد.

* هل تعتقد أن جيلكم مارس دوراً هاماً في الساحة الأدبية..؟

- بدون شك.. فمكعبات الرطوبة لعبدالله السالمي، تجد فيها عمل مبدع، ومجموعة سليمان سندي التي لم تطبع حتى الآن من بينها قصة (البرص) نشرت في جريدة المدينة، وهي عمل بارز يذكر في كل المناسبات التي يتطرق فيها الحديث عن القصة القصيرة المحلية.

* إذن كيف تبرر هذا التوقف شبه التام لجيلكم؟

- لا أعتقد أنه توقف.. فجيلنا دخل مرحلة طبع المجموعة الثانية والثالثة في القصة.. فعندما يقوم جيل خلال عشر سنوات أو عشرين سنة بطباعة ثلاث مجموعات قصصية بالإضافة إلى مشاركاتهم في الصحافة فهذا شيء جيد.

* لكن لا نجد تلك المشاركة اليومية؟!

- من الصعب كتابة قصة قصيرة كل يوم!

* أعني في مجالات أخرى كالمشاركة في الندوات والتواجد الفعلي اليومي في الساحة؟

- هناك عدة عوامل تحكم الموضوع.. فلا تنس أن الإنسان تأخذه الحياة الخاصة.. فالأدب لا يأخذ غير الوقت الضائع فقط.. وليس هناك عملية تفرغ للأدب، لأن الأدب لا يؤكل عيش!

* من أي موقف فكري ينطلق سباعي عثمان؟

- الإنسان.. أنا أنطلق من الإنسان، وللإنسان بصفة شمولية.. وتوجهي للإنسان، النواحي الإنسانية تشدني إلى الأعماق. فدواخل الإنسان تثيرني بطريقة غريبة.. جوانية الإنسان وباستمرار أجد هذه الجوانية ثرية وغنية، فالشكل الخارجي للإنسان ما هو إلا هيكل. أما العالم والضجيج والحركة والتناقض ففي الداخل.. أنا ألقى نفسي في هذه الجوانية وأتعارك معها.

* هل استطاع جيلكم اختراق جدار المحلية؟

- حتى الآن لا!

* لماذا؟

- نعود للسبب الرئيسي وهو محدودية الانتشار للكتاب المحلي بسبب صناعة الكتاب نفسها في طور التكوين، وإن كانت بعض دور النشر بدأت في اختراق هذا الجدار للدول العربية المجاورة.. وبدأنا نتحرك ببطء، في هذا الإطار.

والحقيقة نحن، كمؤسسات ثقافية، مقصرون في هذا الجانب. وقد أشار إلى هذا الأستاذ عبدالرحمن مجيد الربيعي في مقدمته لمجموعتي القصصية الأخيرة. أما المشاركة في الندوات والمهرجانات. فهذه المسألة تقوم بها جهات رسمية تتولى تنظيم هذه المشاركات، فهي ليست مسؤولية الكاتب.

* هل ينطلق سباعي عثمان من المقولة التي تقول إن الفن للفن أو الفن للجماهير؟

- هذه جدلية قديمة.. لكنني مع الفن للفن أو الأدب للأدب! لأن الكاتب أساساً لا يمكن أن ينطلق إلا من بيئته وبالتالي لا يمكن إلا أن يعطي لغة الجماهير.. ولكن توجيه الأدب أسلوب ثبت فشله في بعض الدول التي تقوم بتوجيه الأدب أو توظيفه لخدمة إديولوجيات معينة.. لأنه يصعب جداً أن نقود الأديب لاتجاه معين من أجل العمل من خلال قناة معينة سواء اديولوجية أو غيرها. لأن الأدب يعطي عطاء راقياً لا يتأثر بما حوله من المؤثرات التي تحاول أن تغصبه..؟!

* يلاحظ أن من يرفع شعار الفن للفن يكون بعيداً عن الفعل الإيجابي المعاش القادر على خلق جماهير واعية ومدركة للدور الذي يجب أن تلعبه وبالتالي تظل على هامش الحدث التطويري وبعيداً عن الجماهير لأنها هي التي تقف وراء استمرارية وجوده كأديب فاعل!

– ليس بالضرورة أن ينزل الأديب إلى المتلقي ليأخذه معه إلى حيث هو.. ولكن دور الأديب أن يطرح ما عنده وعلى المتلقي أن يصل إليه وهذا ما تعارف عليه من زمن. وهو الذي خلق جماهير كبيرة جداً خصوصاً في الفترة الأخيرة. فقد كانت إبداعات أدبائنا من الرعيل الأول مثل طه حسين والعقاد ومحفوظ.. في مستوى فني رفيع وهذا أدى إلى استمرارية هذا العطاء.. وأولئك الذين عنيناهم لم يفكروا في النزول إلى مستوى المتلقي دائماً أعطوا بعفوية عطاءات وبقيت أماكنهم شاغرة حتى يومنا هذا.

وهناك حقيقة هامة وهي هل عقمت العربية في كل المجالات. ربما أن المرحلة غير قادرة على خلق البديل.. هذا التساؤل كثيراً ما يراودني ولم أجد له جواباً.. فمقولة الأدب للجماهير أعتقد أنها تهبط من مستوى الأدب. لأن الجماهير عادة مستوياتها الفكرية

مختلفة ومتفاوتة. ولكن الأدب الذي يعطي عطاء عفوياً ويقدم أوباراتياً يجعل المتلقي يرتفع إليه.. وأعتقد أن التاريخ الطويل للعطاء الإنساني يأخذ هذا المسار..

* الفن للفن له مفهوم واحد معناه الكتابة من أجل الفن بذاته، حتى المضمون لا يبتعد عن هذا الهدف وبالتالي فهو موجه لفئة معينة بلغت مرحلة من التذوق الفني من خلال تقوقعها في أبراجها العاجية؟!

- لا أقصد ذلك.. بالتحديد أريد أن أقول إنني لا أريد أن أنزل إلى مستوى هابط جداً يهدم بنيان العمل حتى يفهمني الإنسان العادي..

* ما بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية هل تغيرت الرؤية عند سباعي عثمان؟

- لا.. لم تتغير، يمكن الشكل تطور قليلاً والذين قرأوا المجموعتين قالوا إن هناك نضجاً واضحاً نتيجة تكثيف الثقافة الجديدة.

* هل تعيش التجربة التي تكتبها..؟

- بطبيعة الحال لا، وليس بالضرورة أن يعيش كاتب القصة التجربة التي يكتبها.

* يلاحظ أن لغة سباعي عثمان القصصية تخترق حواجز

الغموض بينما المضامين تأخذ الشكل الواضح - هل هي محاولة منك لبلورة رؤية جديدة في القصة.؟

- ربما.. لا أستطيع أن أحدد نفسي من منظور معين!!

* قلت إنك تعيش تجربة الإنسان من الداخل ولا تلتفت للشكل الخارجي من الحياة المعاشة.. ألا تعتقد أن تفاعلات الإنسان اليومية مليئة بالأشياء التي تخلق مبررات إبداعية معاصرة لم تتوفر للجيل الأول؟ ولماذا لم يتمكن أدب الشباب من ترجمة هذه الصور بكثافتها.. هل لأن التجربة أكبر منه؟

- الأديب الشاب وجد نفسه في متاهة من التناقضات، والتجربة بالفعل أكبر منه وهذا هو السبب الذي أدى إلى التداخلات الضبابية.. وأتصور أن هذا الجيل لو تمكن من ثقافته الاساسية تمكناً جيداً لجاء العطاء أكبر مما هو عليه الآن!

* أبطال قصصك هل تنتقيهم بعناية؟

- أبداً.. هم يأتون إليَّ بعفوية شديدة جداً. وكما يأتون أتركهم يتحركون بحرية تامة ويصنعون اللحظة والحدث.

* هل هناك توأمة بين الحدث والحياة اليومية؟

- الحدث لا ينفصل عن الحياة اليومية وهناك أحداث

يومية عفوية لو استطاع القاص أن يوظفها توظيفاً جيداً فإنه يميز هذه القصة.

وسؤالك عن قصتي التي كانت بعنوان (قراءة في ملامح مدينة) وما قرأته أعتقد أن القاص ينبغي أن يكون دقيق الملاحظة وإنه لا يستطيع أن يخترع شيئاً من فراغ، فكل شيء له معنى. فعود الكبريت عندما يمسك به شخص يعطيني معاني غير المعاني التي يعطيك إياها وهكذا ترى اني أظهرت ذلك في عدد من القصص التي حوتها مجموعة (دوائر في دفتر الزمن).

شهادات

شهادة أولى:

ان "دوائر في دفتر الزمن" تضم ثماني قصص قصيرة، كل واحدة منها تؤكد على قدرة الكاتب في استيعاب "صنعة" القصة القصيرة، لا وفق مقاييسها التقليدية، بل وفق منطلقات حديثة، أفاد من خلالها كل الإفادة من أسلوب "التداعي" الذي ينهل من التحليل النفساني من أجل سبر أغوار النفس البشرية، والغوص في اعماقها، وهي في حالات الفرح، والقنوط، في حالات التخاذل، والشجاعة، دون أن ينسى بيئته التي وظفها بمهارة من أجل أن لا تكون قصصه عائمة في الهواء بل على العكس من ذلك، حيث نجدها متجانسة مع هذه البيئة، ومعبرة عنها، ومشدودة إليها.

إن "سباعي أحمد عثمان" في مجموعته هذه يقدم

لنا ثماني قصص، مكتوبة بمهارة، وبـ "صنعة" متقنة، فيها عذابات الجيل الشاب، وبحثه عن المستقر.. لا بمعناه الضيق، بل بمعناه الكوني، والشمولي، وقد ساعدته على تنفيذ قصصه لغته الحديثة المتفجرة التي لا تعاني من ركامات المفردات القاموسية التي لم تعد الأذن تطيق الإصغاء إليها، ولا القلم يقدر على تسطيرها.. إنها لغة، بقدر ما فيها من حياة، ودلائل، نجد فيها دفق الشعر، ونعومته الأخاذة..

عبدالرحمن مجيد الربيعي

شهادة ثانية:

إن سباعي عثمان في قصته "يازمن الحزن" يطرح فكرة الحزن والتوتر التي تكتنف حياة الفرد في عالم يشعره بضربته، وينفصل عنه تماماً، وهو عالم يشعر الفرد معه أنه عالم ليس له، ويدرك أن جوهر المأساة يكمن في العجز عن إيجاد الصلة بين إمكانات الفرد وواقع حياته المتطورة، وهذا العجز مرده الانشداد الدائم للماضي.. وإلغاء التصور أو الإحساس باللحظة الآنية.. ويبدو للقارىء أن الكاتب اعتمد على تيار الوعي، طريقة من الطرق الأساسية لتجسيد مثل هذه الفكرة.

شخصية البطل عند "سباعي عثمان" هي في معظم أقاصيصه شخصية واحدة مع اختلاف طبيعة الأزمة.

نصر عباس

الشهادة الثالثة:

أثارت استكانة سباعي عثمان في غيبوبة فاصلة بين الحياة والموت الناقد سعيد السريحي ليناجي ذلك المتأهب للرحيل معبراً عن فداحة الموقف ورعب اللحظة:

أبا السباع.. أنت في غيبوبتك هذه لست وحدك، كلنا نتكىء في غيبوبتنا لا نعلم متى نفيق منها، بل أنت وحدك متجرداً من نفسك. تعلمنا أننا ما لم ندرك أننا محاصرون بالموت سنظل متجردين حتى من أنفسنا. أبا السباع وأنت في غيبوبتك والموت يخطف من يشاء ثم يتزاور عنك، تعلمنا أن للموت مواعيده التي لا تضبطها معاييرنا وساعاتنا ولا تستشرفها توقعاتنا وتنبؤاتنا.

أبا السباع منك نتعلم أن الموت إن لم يأت دفعة واحدة فإننا لانزال في حرم الحياة، وإن لم يكن بالحرم الآمن. فاشهد، أبا السباع، أنك لازلت حياً، واشهد أننا لسنا

إبراهيم الناصر الحميدان

روائي، من مواليد ١٩٣٣ (السعودية). أصدر عدداً من المجموعات القصصية، منها: أمهاتنا والنضال (١٩٦٢)، أرض بلا مطر (١٩٦٧)، غدير البنات (١٩٧٧)، عيون القطط (١٩٩١).

الرهان الخاسر

في ليلة شتائية دهماء وضعوني في صندوق خشبي، تحيط به بعض الأنوار الشاحبة. وعلى جانبي الصندوق ذراع حديدية ترفع كهربياً من الداخل. كانت الغرفة الخشبية بوابة الخروج ودخول العربات الصغيرة إلى الحي الرابض في وسط منطقة تفوح منها رائحة البترول ورائحة نيران موقدة لا تنطفىء منذ بضع سنين.. شعلتها توضح المعالم من أماكن بعيدة. كان الحي يقطنه كبار الموظفين من جنسيات مختلفة مع عائلاتهم. المساكن متراصة، بينها طرقات مزروعة بالورود تقف منسقة إلى جانب خيط من الأسفلت يفصل بين الشوارع الواسعة قليلاً

والتي تحاذيها إشارات مرورية تعمل أوتوماتيكيا، والقليل من الأطفال يمرحون في تلك المساحات الخضراء بين المنازل الجميلة والتي جرى تأثيثها بكافة ما تحتاجه الأسر الحضارية في البلاد المتمدنة بعيدا عن هذه الصحراء القاحلة.

كان عملي الأساسي تحريك تلك الذراع الكهربائية يميناً أو شمالاً عند رؤية العربات التي تحمل إشارات الشركة ترغب في المرور من هذه البوابة داخلة أو خارجة تحمل بعض المسؤولين أو أفراد أسرتهم. وهو عمل كما يبدو من السهولة بمكان لولا معاناة سهر الليل الطويل، في وحدة أقرب ما تكون إلى السجن الانفرادي والذي يتطلب اليقظة حتى الصباح داخل غرفة زجاجية يمنع الدخول إليها. أحضرت معي دورقاً للقهوة مع الفناجين وإناء للشاي يغليه موقد كهربائي بواسطة السلك؛ وقد اقتضى "تدريبي" على فهم طبيعة العمل أن آتي بضع ليال حتى لا أجهل بعض التعليمات ومعرفة المخاطبة عبر جهاز الهاتف بكلمات مختصرة ذات معاني محددة، وأصعب تلك المهمات هي معرفة نوع وأرقام العربات التي مرقت عبر غرفة الحراسة التي أتجول في داخلها لأن بعض الرؤساء أو النساء يسألون عن بعض الأفراد لمعرفة تحركاتهم؛ وقد اضطررت من جانبي أن أخرج

بضع مرات حتى أحتال على السأم في تلك الوحدة المخنوقة بالأخشاب الملونة من كل جانب تصغر في تضاعيفها الرياح الباردة لولا أن زمهرير الشتاء يقضي بسرعة فأعود أدراجي مرتجفاً وأسناني تصطك من عنف الرياح. ومع عدم إجادتي اللغة الأجنبية فقد كنت أحاول استدعاء كافة ما أذكره منها حتى تكون إجاباتي صحيحة لاسيما إذا كان الصوت النسائي على الطرف الآخر من الهاتف ذي نبرة مثيرة؛ يساعدني على إضاعة الملل ذلك الكتاب الذي لا أستطيع السلوى بدونه مهما كانت الأحوال كشاب من جيل القراءة الذي أفرط الزمن في إقصائه عن مناطق الثقافة والنور فنبت في هذه الصحراء الشحيحة في نثر الثقافة بين أبنائها بسبب الفقر ومطاردة لقمة العيش في كل مكان اتجهوا إليه في القديم.

كنت أسمع رنين الهاتف الواطيء الصوت فأتجاهله معتقداً أنه يدق في مكان آخر، لأن انغماري بما أقرأ يجعلني أعيش في عالم آخر بعيدا عن حاضري؛ لذا فإنه من المعتاد أن تطرح علي بعض الأسئلة مثل أين كنت ولماذا لا تجيب بسرعة؟ خاصة وأن رئيس العمل شاب مغرور مثل الجلف يتباهى بإجادة اللغة الأجنبية وهي تمثل كافة مواهبه حيث لا يجيد المخاطبة الواعية في أي

موضوع أناقشه؛ به وهذا ما جعلني أنفر من العمل لأنه مسؤول عنه ومضيت أقرأ روايتي بنهم لأنها ذات حوادث تشد قارءها بقوة؛ وكنت قد تهالكت على كرسي وثير وأرحت قدمي على طاولة صغيرة بينما بدأ الرنين يتصاعد متجاهلاً إياه عمداً، حتى أغضب رئيسي الجلف الذي كان لدي إحساس بأنه على الطرف الآخر لأن الساعة كانت بعد منتصف الليل. وبعد حين تراخت يدي على الكتاب بينما السطور بدت غائمة تتقاذف أ مام ناظري ثم رحت في إغفاءة سريعة بدت كافية لأن تجعل ذلك الجلف الذي يراقبني يدق عليّ باب الغرفة الخشبية وابتسامة صفراء تنطبع على شفتيه بغطرسة بعد أن انتصر علي في الرهان فقلت له مباشرة وأنا أفتح الباب له بدون تردد:

- هذا العمل.. لا يناسبني.

فرد علي متباهيا:

- انتصرت عليك في النهاية.. هذا هو المهم.

فكتمت غيظي وقذفت له سلسلة المفاتيح قائلاً:

- استلم عملك.. أيها الكريه.

وخرجت إلى الفضاء الشتائي بلا عمل.

* * *

جمال فايز

من مواليد ١٩٦٤ (قطر). أصدر مجموعتين قصصيتين: سارة والجراد (١٩٩١)، الرقص على حافة الجرح (١٩٩٧).

يوم العيد

(١)

لأول مرة يخرج من بيته ولا ينظر للنخلة التي غرس بذرتها جده الأول. ورعاها أبناؤه وأحفاده. واستطعم ثمرها سنين عديدة إلا من بضعة أعوام مضت. إذ ما عادت تطرح ثمراً. فتعاظم حزنه واشتد ألمه ولم يفقد الأمل. ظل يرعاها ويمنحها معظم وقته إلا هذه الليلة. فالوقت أمامه قصير وعليه شراء حاجيات كثيرة. أهمها الفواكه. فأكثر من الرمان الذي كان يحبه ابنه. ومن التفاح الذي كانت تفضله ابنته. ومن الحلوى و"الرهش". وأمضى ليلته ينظف مجلسه ويعد المائدة.

(٢)

على غير عادته نهض من فراشه. أيقظ خادمه ثم رجع إلى غرفته. تعطر. لبس ثياباً جديدة. وخرج مزهواً يتكيء على عصا جده.

(٣)

في مصلى العيد. جلس في نفس المكان الذي كان يذهب إليه منذ صغره مع والده وجده. تفرس في الوجوه المقبلة. وفي وجوه الجالسين عن يمينه ويساره. يبادره القاعدون بالتهنئة وبعضهم يسأله عن سر الشجن الذي يكسو وجهه.

اكتظ المكان بالمصلين. نهض الحشد للصلاة. فعل مثلهم. ثم ألقى الإمام الخطبة. استرق النظر من حين لآخر في وجوه الجالسين لعله يجد ناسه. بدأ الناس في التفرق إلى بيوتهم. تشبث في مكانه، يحملق في الوجوه. تنتابه الرغبة في العويل وهو يتفرس المارين من أمامه.

(٤)

رجع إلى بيته يتملكه الحزن. لامست أذنه جذع

النخلة ، طرقه بقبضة يده. اقشعر بدنه. ضربه ثانية وثالثة. صدق حدسه في أن الجذع أجوف.

(٥)

وحده أمام المائدة يقطع من الرمان والتفاح دخل عليه خادمه. وارى دمعه. تنحنح خادمه "بابا" هذا عيد فيه خلاص، بابا يروح ينام ولا يوقف علشان انت؟" ولم يرد، ظل لوقت يمعن النظر في التفاح والرمان. أشار إليه أن يقترب ويجلس ويأكل معه من المائدة.

(١) الرهش: حلوى شعبية.

(٢) ناسه: ذويه

* * *

جار الله الحميد

*من مواليد ١٩٥٥ (السعودية).
أصدر أربع مجموعات قصصية:
أحزان عشبة برية (١٩٧٩)، وجوه كثيرة أولها مريم (١٩٨٥)، رائحة المدن (١٩٩٧)، ظلال رجال هاربين (١٩٩٨).*

حكاية ميمون

(ميمون) طائري الحبيب، المخبول، الأسود، الذي يشبه الغراب تماماً لولا منقاره الطويل، البرتقالي، والزائدتان الصفراوان الجميلتان فوق أذنيه. بدأ يتعلم الألحان تلك التي تطلقها الديكة قبل أذان الفجر، وفي الضحى أو تلك التي تصدر عن القطط في (شباط) موسم الممارسة الشيقة لديها رغم برده الذي يضرب به المثل. كان (ميمون) يزعج من في البيت. وأعرف أن (خالتي) أم زوجتي تتمنى خنقه أو على الأقل إطلاقه من قفصه ليهرب ويضيع مني. مع أنني متأكد أنه لن يهرب لو أتيح له ذلك فهو يحبني أو قل إن علاقتنا ملتبسة. فرغم أنني

أعرف أنه يحبني إلا أنه قد ملأ يديّ جراحا بمنقاره القويّ حتى أنك ترى بقع (الآيدين) الأزرق على أجزاء مختلفة منهما طول الوقت. بل لقد وصل حتى إلى وجهي فأحدث جراحا ظاهرة عند وجنتيّ وأنفي. وأذكر أنني عندما وقفت أمام الصيدلانية ذات الأنف الجميل والعينين الرائعتين لأصرف علاجي الشهري ابتسمت (بمغزى ما) وهي تنظر إلى الجراح!

عندما ينتصف الليل أحمل (ميمون) في قفصه الذي يتسخ باستمرار نتيجة فضلاته الكثيرة مما يضطرني لغسله كلّ يوم. وكانت (خالتي) تنظر إليّ حين أقوم بذلك نظرة أدرك معناها القاسي. فهي لا تريد إهدار الماء مما يزيد في (الفاتورة). حتى أنها تتعمد حينما تنام زوجتي ومن في البيت أن تمرّ على جميع (اللمبات) وتطفئها. حتى تلك التي تضيء لي الطريق من المجلس إلى الداخل أو إلى حمام الرجال! أحمل (ميمون) نصف الليل وآخذ معي كتاباً أحبه جداً عن طائر (المماينا) بغلافه الجميل والسميك والمنفذ بحساسية فنية عالية. تحتل معظمه صورة (ميموني) الحبيب. ويحكي هذا الكتاب باللغة الإنجليزية التي بالكاد أفهم منها القليل جداً عن هذا الطائر الغريب! ويقول إن الذي اكتشف مقدراته وطرافته وألاعيبه رجل

إنجليزي مولع بالطيور في (فرنسا) في القرن التاسع عشر حيث سمعه عند مضيفه الفرنسي يردّد الكلام ولكن بشكل موسيقي شديد الإتقان والجمال. كما أنه يختلف عن (الببغاوات) العادية بأنه يحفظ إجابة السؤال. أي أنك عندما تسأله (مثلاً): كيف الحال؟ يرد بصوته الجميل: ممتاز. أو. طيب! بينما الببغاوات الأخرى تردّ عليك: كيف الحال! فقط.

قلت إن (ميمون) يحبني. فأنا أضع له الأرز (وجبته المفضلة) كل ظهيرة. وأقشر له التفاح. وأعطيه حبات العنب. وعندما يسرف في إخراج الفضلات أعطيه بيدي قليلاً من الـ (بنات بتر) – زبدة الفول السوداني – فتمسك أمعاءه. ولكنني فشلت في ترويضه على النحو الذي قرأته في الكتاب أو شاهدته لدى بعض الذين يروضون الصقور أو القطط أو الكلاب أو العصافير. دائماً يهرب مني. وأمسكه بعد جهد. بعد أن يرتطم مراراً بالجدران أو بالأجهزة الموجودة في المجلس التي أتعثر أنا أحياناً بها فأقع وأتألم ولكنني أواصل مطاردته. يغريني أحياناً بأن يهدأ مطمئناً على يدي. أضع ساقيه مشبوكتين بأظافرهما الطويلة والحادة على سبابتي وأربت بيدي الأخرى على ظهره. أبتهج حينها. فهو لا يفعل سوى تلك

الالتفاتات المخبولة والمضحكة التي تزيدني حباً به. وأحياناً حين أسرع صامتاً وهو على يدي يقول بصوت وقور وشديد الصفاء: هه؟ هه؟ وهي تعني (ماذا) بلهجتنا التلقطها فيما يبدو من زوجتي فهي أحياناً تقول له: ميمون.. ميمون. فيرد مستفهماً: هه؟. ولكنه في الغالب ينهي ليتنا بشكل سيء. فأشتمه بنقمة حقيقية وبصوت مرتفع. وأبصق عليه. بل إنني أضربه أحياناً برجلي. ولكنني بعد أن يدخل قفصه مصدراً ذلك الفحيح الذي يعلن عن عطشه الشديد أتألم، وألعن نفسي، وأشعر بإحباط يثقل على قلبي لأنني طوال هذه الشهور لم أستطع أن تكبر العلاقة بيننا من مجرد إحساسه بها لحظات الطعام والعناية. ولأنني لم أتمكن من أن أجعله يظهر كل إمكانياته كطائر مضحك، وأليف، بل ومطيع، ويحب صاحبه. وكلما تذكرت الرجل الإنجليزي الذي اكتشف مواهب هذا الطائر ازددت إحباطا!

ولكنني - رغم ذلك - عندما أستضيف أحد أصدقائي (وهذا يحدث يومياً فأهلهم لا يحبون أن أجيء أنا إليهم فيما يبدو!) أحضر (ميموني) إلى المجلس. أضعه في الوسط. وأبدأ في الحديث عنه. وأبالغ أحياناً في حكاياتي. لا أكذب - لكني.. أكذب بسبب حبي (لميمون). وكانوا كلهم يستحسنونه بكلمات مقتضبة (أغلبها كذب ومجاملة).

واحد منهم فقط: كنت قد وضعت طائري العنيد في مكان نسميه (البلكونة) مع أنه ليس أكثر من طريق إلى الحمام والمغسلة! وضعته هناك لكي يتمتع بالهواء النقي والبارد قليلاً. وحالمَا رآه صاحبي قال:

- أعوذ بالله! وش لك بها الغراب؟ اقلعه. الله يبعده!

قلت له إنه ليس غراباً. ولم يكن ثمة شيء آخر أقوله له فهو رجل لا يهتم بشيء سوى الفلوس.

وذات يوم قائظ وكنت في حال من البهجة إذ شربت كأسين باردين حتى أنني كنت مبعثراً فمرة أكتب ومرة أقص صوراً من المجلات بنية إلصاقها على جدران غرفتنا (زوجتي وأنا وأطفالنا) رغم أنها لا تطيق هذه الاهتمامات. قمت بإعطاء (ميمون) دشّه المعتاد في هذا القيظ. مستعملاً زجاجة ذات (بخاخ) كانت أصلاً لمنظف الزجاج. وأمعنت في بخّه بالماء حتى أن ريشه الأسود الذي يلتمع فيه لون فيروزي قد تألق. ثم وضعته في الشمس ليتولى تنظيف ريشه وأذنيه ويجف. ويكتسب الفيتامينات التي تبعثها شمس الله الرائعة. وطلبت مني (خالتي) أن أذهب ببعض الرطب من نخلتها (الحلوة) التي تهتم بها وتفتخر كل موسم إلى بيت أحد أقاربها. وحين

قضيت مشواري عرّجت على المكتبة القريبة وأطلت في تقليب المجلات لأنني لم أستطع أن أحدد أيها أشتري. وقرأت شيئاً من كل واحدة. ثم قررت أن لا أشتري شيئاً. وعدت إلى البيت. تذكرت وأنا أخطو أول خطوة إلى الداخل كمن استيقظ من منام (ميمون) فركضت أصرخ: ميمون.. هل أدخلتموه؟ ميمون.. يا ناس!

ولم يكن أحد قد سمعني. ركضت إلى حيث تركته يتشمس. فرأيت ما لا أريد أن أتذكره حينما أستعيد خيباتي وهزائمي! كان (ميمون) يرتعش بشدة مغمض العينين ومختل التوازن. يرتعش ثانياً رقبته الهزيلة إلى جانب جسمه. ركضت به إلى غرفة جلوس (الحريم). وفتحت (المكيف). رفعت القفص وأنا أصيح به في لوعة: ميمون.. أرجوك لا تمت! ركضت إلى البرادة. رشقته بكوب كامل من الماء البارد فارتعش حتى حسبته قد أفاق. كررت بدون وعي: ميمون.. لا تمت.. أرجوك! لكنه سقط من أعلى العصا على أرضية القفص. بدون حراك.

لقد مات. هكذا بكل بساطة وبشاعة مات. بكل الموت!

* * *

منى الشافعي

(الكويت). أصدرت عدداً من المجموعات القصصية، منها: النخلة ورائحة الهيل (١٩٩٢)، البدء.. مرتين (١٩٩٤)، دراما الحواس (١٩٩٥).

يرتعش الصمت في صدري

قبل أن أشهق، وتصرخ نبضات صبري معترضة، معاتبة أم خالد.. كان ابراهيم يقترب مني بوجه ترفرف عليه ابتسامة جادة واثقة، ارتفعت عيناه، وقعت على عيني، وبكل جرأة انحنى على أذني، وبصوت أكثر رغبة وأقل خفوتاً، همس:

– نعم يا عزيزتي.. هل تقبلينني زوجاً؟!

صفعني دوار خفيف.. تهالك الصمت على شفتي، وامتلأت عيناي بالأسئلة.. فجأة!.. تذكرت أن الشتاء على مشارف أسوار الديرة، وغرفتي الصغيرة ماتزال باردة.

*****

قبل لحظات، كنا جميعاً متحلقين حول طاولة الاجتماعات الضخمة، نراجع جدول الأعمال لهذا المؤتمر الدولي الذي دعت له وتشرف عليه مؤسستنا التربوية. وعندما أخذ التعب والملل مساحة كبيرة من عقولنا وأجسادنا، لم يكن بالإمكان أن أرفض إصرار الجميع على أخذ القليل من الراحة وبعض المتعة.

كانت الكافتيريا الواسعة الجميلة، تعج بالضيوف والمؤتمرين.. تأتيك أصوات متنوعة بلهجات ولغات مختلفة.. تصلك ضحكات عالية تثير الفرح من حولك وتقابلك ابتسامات ترسم الحب على الوجوه الجالسة.

وكانت لنا هذه الجلسة التي امتدت طويلاً، حول تلك الطاولة المستديرة التي تتوسط المكان.. ما إن جلسنا حتى حلت الفوضى حولنا قبل أن تتخاطف أيادينا فناجين القهوة العربية الساخنة واستكانات الشاي الشهية.. وكان منظر البحر أمامنا بأمواجه الهادئة المتكسرة بدلال على شاطئه الرملي يزيد من سحر المكان وروعته.. أما قرص الشمس الأرجواني الذي كان يمارس طقوس غروبه اليومي، فقد أثار في نفسي بعض الأحاسيس الهاربة وحرك فيها كل المشاعر الساكنة، فعلت الهمسات وارتفعت الأصوات وتكررت الضحكات.

كان إبراهيم أكثر الجالسين تحفزاً وابتهاجاً.. ازداد المكان تشبعاً بمرحه الذي كنت أرفضه بشدة، وطالما كنت أكره تصرفاته وأتمرد عليها.. تتوالى تعليقاته الباردة ونكاته السمجة، يختلط صدى ضحكاته بذهولي ودهشتي وكأنني لم أجده هكذا طوال سنين معرفتنا..

أصبحت الجلسة باردة، غادرني الدفء، فانسحبت ذهنياً عن الجالسين، لأسترد من العمر شهرين، فأستعيد أحداث ذلك اليوم القاسي وساعات صباحه الخانقة، عندما صرخ جهاز التلفون في وجهي، ليأتيني صوت ابراهيم جافاً هادىء النبرات.. ليفجعني خبر وفاة زوجته الشابة الجميلة، وكأنه يقرأ على مسامعي خبر وفاة إحدى معمرات القرن من جريدة صباحية.

*****

انتبه ابراهيم لشرودي، التفت إلي وكأنه يتفحصني، ملوّحاً بإحدى يديه أمام وجهي عاجلني بقوله:

– أين سرحت؟

نظرت إليه بعينين غائبتين وابتسامة خامدة، وذهني مايزال يستعيد صدى كلماته، رشفت الشاي البارد لأطفىء به بعض توتري. وعندما شعرت أم خالد بأنني فقدت الرغبة في مواصلة الحديث مع الجالسين، داعبتني

بتعليقاتها الجميلة التي لا تخلو من المدح والمرح والتي أزالت بعض تبعثري ودفعتني للضحك والمزاح.

كنت مازال مسكونة بهواجسي وذكرياتي.. فغبت عن الحضور قليلاً.. قبل خمس سنوات أو تزيد قليلاً فقدت إحدى أعز صديقاتي زوجها (يرحمه الله).. وعندما دعوتها قبل يومين لحضور هذا المؤتمر التربوي الكبير، اغرورقت عيناها، وخنقتها العبرة، تركتها ورأسها محنياً على راحتيها، تذكرت وأنا خارجة من عندها أن المرحوم كان دائماً أول المشاركين في مثل هذه المؤتمرات.

كانت الدعوة الثانية موجة إلى الزميل ابراهيم، وكان من المفروض أن أعرض عليه المشاركة في برنامج المؤتمر، كنت حذرة، متحفزة للآتي وأنا أرتقي السلالم المؤدية للطابق الثالث حيث يستقر مكتبه الكبير في نهاية الممر الطويل.. لاسيما وهذه أول زيارة لي، بعد وفاة زوجته الزميلة الجميلة، المحبة، ذات الإبتسامة الحريرية التي لا تنطفىء.

كلما ارتقيت درجة، ازدادت مساحة حزني.. لم يمهلها المرض أكثر من شهرين، تحملته بصمت غريب وشجاعة استثنائية، لم يمنعها مرضها من إظهار عواطفها النبيلة الجميلة لزوجها الذي تحبه، ولا لبيتها ولا حتى

لقطتها المدللة.. كانت دائماً تبدو سعيدة فرحة رغم عدم إنجابها الأطفال.

ما إن احتواني الممر حتى فاجأتني ضحكات عالية وأصوات مختلطة لفتت سمعي ضحكته المميزة، اقتربت أكثر ازداد الضحك وضوحاً، باب المكتب كان موارباً، طرقته بخفة، دلفت. واجهني وجهه المفتوح على ابتسامة عريضة وفي عينيه بهجة عروس ليلة عرسها.. اضطربت قليلاً لكنني تمالكت دهشتي.. بعد أن ألقيت تحية باهتة على الجالسين، ارتحت قبالته بقلب يخفق وابتسامة حائرة قد تعثرت على شفتي المرتجفتين.

بعد نقاش امتد لأكثر من ساعة.. أفلت لسانه فجأة:

- كم كنت أتمنى هذه الفرصة.. على الأقل نستمتع بالجمال...

أكمل بصوت واثق ونبرات هادئة.. وهو يودعني:

- أتمنى أن تمتد جلسات الاجتماعات لساعات وساعات.

ابتسمت بملامح غير صادقة رغم أنني لا أطيق التظاهر بمثل هذه الأحاسيس.

أغلقت الباب خلفي وقد تعديت حدود دهشتي.

*****

ظل وجهه يقطر فرحاً وأنا أنزف حزناً ولوعة، تجذبه مفاتن إحداهن في الطرف الآخر من الكافتيريا، يطيل النظر، ثم يضحك بخبث ملتفتا إلى عبدالله، وبصوت خافت نوعاً ما وصلتني برودته ممزوجة بجرأته.. يردد:

- لا أنكر أنها جذابة، لكنها لا تناسبني.

لا أدري لماذا تصاعدت مشاعري، وطوقتني أحاسيس مختلطة، بينما كانت عينا ابراهيم تتابعان كل حركاتي وتفاجآني بهذا الفيض المخزون من النظرات.. حتى أنني تمنيت لو أن هذه الجلسة تتحول إلى هواء.

تناسيت ما التقطت أذناي وهربت من نظرات ابراهيم فانحنيت على أم خالد أهمس لها ببعض الأحاديث الودية، وعادت الجلسة تموج بدفء الجالسين، وعادت الضحكات تلعلع في المكان. أما أنا فثمة نسيج آخر يلتف حولي فيسحبني من تلك الجلسة ونغماتها، فأرحل وحدي إلى عوالم خاصة أكثر قرباً وحميمية تثير في داخلي بعض الحزن والأسى، تذكرتها، دائماً كانت تبدو وكأنها منتمية لزمن غير الزمن، ولمكان غير المكان، حتى في أكثر الجلسات حميمية، كانت ترسم ابتسامة على شفتيها طوال الجلسة، لأقرأ فيها كل أنواع الصبر والرضا.

أم خالد ترتشف قهوتها الساخنة ببطء، يفلت لسانها

بعض التعليقات الحادة والنكات المضحكة، بعد أن فرغت من تعليقاتها، سكتت لحظة، ثم استدارت نحوي، موجهة حديثها للآخرين:

- يا جماعة.. ابراهيم يرغب في الزواج ويتمنى عروساً جميلة.. هادئة.. تناسبه.

تتحرك شفاه الجالسين، تتساءل، تعلق، تبتسم، ثم تبدأ فوضى الكلمات، وتظل الجلسة على إيقاع هذه المعلومة ورغبة ابراهيم بالزواج.. حتى شعرت كما لو أنني أغرق.. أختنق.. فتحركت ذاكرتي المنتعشة لتمنحني بعض الهواء النقي وتعيد إلي ذلك المساء الجميل الذي جمعني وإياها في شرفة منزلها الجميلة المطلة على شارع الخليج..

نظرت إليها وعيناي تضيئان بعض الفرح حولها.. كانت مسكونة بالحزن والألم، وفي عينيها مايزال الربيع متخدراً، تائهاً في سنيها الأربعينية.. أحرجتها.. سألت:

- إلى متى يظل أحمد معلقاً في مشنقة حبك؟

كانت كلماتي بالكاد تفتح أبواب وحدتها الموحشة.. ابتسمت ابتسامة تعلو جمال وجهها وأجابتني بشيء من الخجل، وبثقة تؤكد حالها:

– صدقيني.. مايزال المرحوم متوزعاً في دمي.

لا أدري لماذا هجمت علي فجأة كل تلك الأفكار المنشطرة والذكريات الحزينة، كما لو أنني أحس باقتراب.. شيء ما.

*****

حررتني من أفكاري المتصارعة، ضحكة أم خالد المميزة ولكزتها ذات الخصوصية التي أوجعت خاصرتي.. وبصوت يبتسم تغلب عليه رائحة المكر رددت، ويدها تربت على كتفي بقوة:

– يا جماعة.. "ليش نروح بعيد العروس "جدامكم.. بيضة" حلوة، "هادية" ومناسبة،... وبصراحة مفصلة على طلب أخونا ابراهيم"..

تدنو مني أكثر، تلتصق بوجهي.. تفاجئني:

– ها.. هل توافقين؟

* * *

فهد العتيق

من مواليد ١٩٦٠ (السعودية). أصدر أربع مجموعات قصصية: مسافات للمطر الآتي (١٩٨٥)، عرض موجز لمقتل مغني الرصيف (١٩٨٩)، إذعان صغير (١٩٩٠)، أظافر صغيرة وناعمة (١٩٩٧).

أبواب وطرقات حائرة

طرقات:

خرج في صباح هذا اليوم البارد، ووضع في جيبه ضحكته المحايدة، وقاد سيارته بهدوء...

يتأمل ناس الصباح، يتأمل شمساً قوية على عينيه المخدّرتين، ليظل أقل انتباهاً، وأقل حذراً، وأقل رغبة في أن يصل إلى ما يريد، لا يعرف ماذا يريد، له ما يريد ولهم ما يريدون، والمسافة بينه وبينهم صباح وضحكة محايدة ونور ساطع لشمس قديمة وعينين ومخدرتين، ووله عظيم.

يتأمل عيونا مجاورة مليئة بالنعاس، يحدق في الفراغات، يتأمل إشارات المرور، وعمّال النظافة، وتلاميذ المدارس، يقول سوف أمرّ على تلك الحديقة الصغيرة المهملة.. التي تحولت إلى (كيس قمامة) وسوف أمر بجوار مدرسة البنات، سوف أرى الشيخ الكبير الجالس أمام باب المدرسة بعصاه الطويلة، وبنصف رقدة يراقب احتشام البنات الداخلات، ثم أمر بعد ذلك في طريقي.. على سيارات كثيرة تصطف أمام ذلك المطعم الصغير المشهور كل صباح.

خرج في صباح هذا اليوم البارد يضع في جيبه ضحكته المحايدة، خرج من بيته تعباً أو فرحاً أو حزيناً أو طائراً مثل عصفور، خرج وهو يخبىء في جيوب ثوبه أشياء كثيرة، وخلفه ترك أشياء كثيرة، أبواب الغرف المفتوحة، ورائحة الرتابة والملل، ومقاطع من أغان متقطعة ومبعثرة في الفضاءات الصغيرة المسقوفة، ونوافذ نصف مغلقة...

خرج في صباحات كثيرة.. ولم يعد حتى الآن.

أبواب:

الباب الكبير الذي أمامه يفضي إلى باب آخر، والباب الثاني من بعده، سوف يقوده إلى أبواب وممرات

كثيرة، وهو يقف هناك بعيداً، يترقب أحداً يدخل الباب الكبير.. أو يخرج منه، يقف بعيداً ينتظر الوقت الذي يمضي والناس يركضون هناك يدخلون ويخرجون من أبواب كثيرة أخرى، وبابه الكبير ينتظره، لكنه يقف بعيداً هناك، يخاف الدخول، يخاف الخروج.

يقف متردداً وخائفاً ومتلصصاً يبحث عن رائحة أقدام تقوده، يقف هناك والناس يدخلون ويخرجون من أبواب كثيرة، يقف بعيداً ويتذكر أشياء كثيرة، ويحلم بأشياء كثيرة!!

كل الأبواب تفضي إلى أبواب أخرى.. ليس هناك باب يأتي من فراغ ويذهب بك إلى فراغ. لكنه يقف متوتراً يقرأ ماضيه، يقرأ وقوفه الأول أمام العالم والناس والأصوات والحياة مسحوراً ومبهوراً، خائفاً ومتردداً ومتلصصاً. يتأمل قدميه الصغيرتين اللتين لا تقويان على الحركة، يحاول تحريكهما فلا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة، يحاول أن يتكلم فلا يقوى على الكلام، يراقب خطوات البشر في الطرقات بصوت معبأ بالمرارة والبكاء، يراقب حياة تتحرك حوله ويستمع لأصوات متداخلة.. تأتي من هوة سحيقة في داخله، فيظل هناك، حذراً وبعيداً ومرتاعاً، لا يقوى على الدخول، في انتظار باب يأتي من الفراغ ويُدخله في الفراغ ثم يفضي به إلى فراغات.

حوار:

يدخل المطعم الصغير المجاور لبيته المتطامن، يجلس في مكانه المفضل جوار الباب الزجاجي المطل على رصيف الشارع، لكي يتمكن من رؤية المطر الخفيف الذي ينزل الآن من السماء الملبدة بالغيم.. بعد صلاة الفجر مباشرة.

المطر يغطي زجاج باب المطعم.. فيبدو مثل لوحة مائية رائعة..

يضع عامل المطعم (الشاي بالحليب) الذي طلبه أمامه، وهو يتأمل العالم الهادىء من حوله، العالم الذي سوف ينطلق بعد قليل لا يدري إلى أين، يتأمل وفي رأسه أسئلة كثيرة.. عن الصباح وعن الأبواب المخاتلة الكثيرة في هذا العالم، يسأل.. وقد ترك خلفه أشياء كثيرة، أبواب الغرف المفتوحة في بيته الصغير، ورائحة الرتابة والملل، ومقاطع حزينة من أغانٍ متقطعة ومبعثرة في الفضاءات الصغيرة المسقوفة، ونوافذ نصف مغلقة... وبعد قليل، سوف يعود لشوارع الصباح من جديد، وأبوابها الكثيرة التي تقود، أيضاً، إلى محض فراغ.

* * *

عبدالله خليفة

روائي، من مواليد ١٩٤٨ (البحرين). أصدر عدداً من المجموعات القصصية، منها: لحن الشتاء (١٩٧٥)، الرمل والياسمين (١٩٨٢)، يوم قائظ (١٩٨٥).

الجبل البعيد

توقف الباص في الصحراء الجرداء، قبل التلال الشاحبة، وبحر الأعاصير والنار. أناخ كجمل آلي، مفكك الأوصال وهرم. ألقى ظلين شاحبين، وسار يفح أنيناً وعطشاً ودخاناً. استقبلت الظهيرة الترابية المشتعلة الرجلين بالغضب.

الرجل الأول كهل أبيض، يضع قبعة على رأسه، وحقيبة و راء ظهره، ويسير بهدوء وتأن، محدقاً في الأعشاب الضارية الطالعة من بين الصخور، وفي الفراشات الرملية المنقضة على الظلال.

الرجل الثاني شاب أسمر، حيوي الإيقاع، منتفخ

الجيب، ذو ملابس هشة. اندفع بعيدا عن الكهل، رمقه بكراهية شديدة وغمغم: كلب.. لو يدفن هنا!

كانت هرات الباص لاتزال تقلقل ضلوعه وروحه. حشد من القرويين المجذوبين إلى التمائم. الهدايا الكثيرة التي حملوها للمزارات تثقل أنفاسه. وكان الكهل الأبيض يفتح دفتراً، ويدس رأسه في أغانيهم وعصافيرهم، ويسحب اللغة والمناجم.

تطلع الشاب إلى الصحراء الفارغة من الدروب، وبدت الجبال البعيدة كظلال للسماء، وكعهن منفوش، وانتشرت الأسربة والأعشاب الكالحة والصخور البيضاء الصغيرة إلى ما بعد الوجود، وكان الهواء صلباً حاراً مثل الزيت المغلي.

أحس بالعطش والجوع، وهروب الطرق من قدميه، لكن الجبال الذائبة في الماء والسراب، بدت مثل زقاقه الكثيف الذي غادره، فاندفع في السير، وتجنب الحجارة وغيران الضببة الغادرة وتحديق العقارب وخطوط الحيات، وراحت الرمال ترتعش من خطواته، وكتاب الصحراء يأكل قدميه.

التفت فرأى الكهل الأبيض مثل نقطة ذائبة، يتعكز على الأشياء الساقطة يصير مثل بالونة بيضاء.

يبدو أنه جلس، ووضع مظلة فوق رأسه، ولعله الآن يتغدى ويشرب علبة من البيرة، ويصغي إلى شريط موسيقي جميل!

وفعلاً كان الكهل، قد استرخى على بساطه، ووضع مظلة، وتدفقت عليه وأشياؤه، تصنع شاياً وبيتا وتوقد ناراً وموسيقى وحديثاً عن البراري..

وضع خريطة على الأرض وراحت دبابيسه ترسم خطاً متعرجا نحو الجبل.

تغلغل الشاب في الصحراء، مسدسه ملتهب عند فخذه، والعطش والجوع ينهكانه، كسرة الخبز أثارت المعدة للطعام.

ظهرت الجبال نائية وملتفة وراء السماء وأمام بحار من الماء والضياء.

كانت المهمة غريبة وسط هذا الاتساع اللامتناهي للحجر والرمل، وأطل وجه الشيخ درويش ككتلة من الحيات وورق الشجر، غارقاً في كهف جبل بين الماعز والألغاز.

مشى الشاب والصحراء واقفة، أكل تضاريسها وهي تتجدد متسعة متنامية في كل الجهات، وانحنى رائياً

الشمس في عينه، حمراء مثل ساقيه تتضح حمماً، ركع على الرمضاء، وهوى...

أحس بمذاق لذيذ، سائل يدغدغ عروقه اليابسة، ظل جميل يبزغ في الهجير.

كانت رأسه على فخذ الكهل الأبيض، الذي يعطيه عصارة من معجون، بدا كثدي معدني.

يرى الشمس تنحني للأرض، غامدة سيوفها، وشعرها المتناثر مشتعل في الفضاء مثل آية أبدية.

الأعواد والأعشاب اليابسة والقراطيس الضالة تتحول إلى نار بيدي الكهل، وجسد أرنب يدور حول اللهب، وانفجارات دهنه تثير شهيته.

لم يعد الشاب قادراً على التطلع إلى الكهل، الطعام والماء والحنو أسروه.

سأل الكهل:

– ماذا تفعل في البرية أيها الشاب، وبلا زاد؟

– إنني في مهمة للشيخ درويش.

اعتدل الآخر، ومد رأسه إليه:

– أتعرفه، أأنت تعمل معه؟

– اضطرب:

- لا! ولكن.. أحد أقربائي وجهني إليه في مهمة ما.

- ماذا يمكن أن يفعل هذا العجوز الآن؟

إنه اعتزل العالم، وهو لا يريد سوى الاحتضار في كهفه بالجبل.

- هذا ما يزعمه! ولكن أتباعه يعصرون الناس، شبكته الرهيبة تصطاد كل شيء وتشرب الدم..

- إنه لكلام فظيع!

- وأنت يا سيد ماذا تفعل في هذه الصحراء الغريبة؟

- إنني باحث، أكتب عن الزهور والغزلان والفراشات..

سارا في الفجر، أخرج الكهل قواه المختزنة ومضى في المقدمة، مدركا خطوط الصحراء، وتبعه الشاب ببطء وتعب. كان يريد أن ينام طويلاً، ولكن الآخر أنهضه وقال إنها أفضل فترة للسير، وكانت الشمس وراء الأفق وثمة رذاذ برتقالي ساطع ملأ السماء، وبدت الصحراء رمالاً ساكنة زرقاء.

دهش الشاب لأن الكهل يمضي في خط سيره هو،

وظهر مقصده واضحا: إنه الاندفاع نحو جبل الشيخ درويش وترك الفراشات للهجير، ونسيان الغزالات الراكضة وراءهما.

استعاد حوارات رفاقه الساخنة: احذر الفشل في المهمة! لن يكون الشيخ درويش صيداً سهلاً! ثمة أشياء مذهلة قد تحدث لك في أية لحظة لا تتردد، اندفع وأطلق!

كان سيراً رهيباً، توقفت الأنفاس في البرية، لم يعد ثمة عشب أو طير، استولت الرمال الحارقة على العالم.

أعطاها كثيب ضلعاً من ظل، تلاصقا تحت القماش، جلد الكهل الأحمر منتفخ، غزير العرق، يشرب ويأكل ويدخن، ويسمع الموسيقى وأخبار الفناء وسباق الضواحي، والشاب قطعة "استيك" تحترق فوق نار صاخبة، سوائله وبخاره، تطرطش وتفرقع.

هتف:

ما هذه اللعنة؟ كيف ستنتهي هذه الرحلة الكريهة؟

رأى فيما يراه المحموم قوافل صاخبة تندفع عبر السراب. سيوف مشهرة وصناديق ذهبية وسبايا جميلات وهوادج رائعة ومشاو عنيفة المذاق لشياه ورجال مسلوخين ناضجين فوق صحون الأرز الزعفرانية.

سقط. أسياخ الشمس تكور لحمه وتشويها. اندفع في تأوهات وهذيان:

- اصفح عني أيها الشيخ درويش. لم أرد إيذاءك. أصحابي دفعوني لهذا الإثم. ولكنك تستحق هذا. أمي ماتت بسببك، وحينا أفلس من أقاويلك. جاءتني الرؤيا أني سأقتلك و أنت رضيت! أرجوك، أعطني قطرة ماء!

غاب في غيبوبة. الكهل تحسس قطعة الحديد، لم يستطع استخراجها.

ثمة سوائل توضع على جبين الفتى وصدره، ذات مذاق مدهش. الخطوط الحمراء والبشر المشويون والقوافل ترحل، والظهيرة المجنونة تتجب أصيلاً منعشاً، فهفت نفسه إلى الغزلان والنساء والتسكع في الفنادق!

صار يحمل معدات الكهل، ويتبعه، يجمع أية جذور من التراب، وتمنى أن يغدو دليلاً لأثري تحيط به النسوة وآبار الشراب، لكنه عاد وتذكر مهمته وتحسس مسدسه.

سقط الكهل وراء كثيب. بدا في الأعماق ميتاً. نزل إليه وحمله إلى الطريق. جثم الكهل وراء ظهره، استراح في القمة الحية الوحيدة في اليم الرملي، وغدا أكثر إبصارا واستمتاعاً.

في الليل أحس الشاب بقوته. ولم يعد الكهل سوى ملحق بجسده. قال:

- أنت لم تقل لي الحقيقة..

- أية حقيقة؟

- حقيقتك وحقيقة مهمتك. لا تبدو بالأزهار والغزلان. ثمة شيء يجب أن أعرفه!

على ضوء النار بعثر أوراق الحقيبة، ثمة رسوم وخرائط كثيرة ومقابر. وجد صوراً عديدة للشيخ درويش. ذهل. لم يعد أثرياً، لم يعد حنوناً بالغزالات.

- قل لي ماذا تفعل هنا؟

قال الكهل ببساطة:

- أصنع كتاباً عن الشيخ درويش.

آه!

فرت الذئاب من الصيحة.

- لماذا، لماذا.. تقطع كل هذه المسافات، وتدع الشطآن والسهول، وتجتاز الفلوات لكي تؤلف كتاباً عن هذا المسخ..!

تذكر الكهل أشياء كثيرة، حياته المديدة التي قضاها في حقول الطاقة والكلمة، سنوات الشباب العامرة

بالصحة والتحدي، والأعزاء الذين رحلوا في لحظات مروعة، والبستان المهدم الذي لم يعد فيه شجر أو طير، وبحثه عن صدى لصوته في شوارع مكتظة بالأشلاء وانفجار روحه بالخوف في غسق الموت..

كان مشهد البرية مروعاً. هو بين فخذي مجنون، يبيع شبابه الغض ليزيل شبحاً.

دنا الفتى، وجهه يكتظ بمرايا النار.

- ماذا تفعل هنا، لا تصمت أمامي أبداً!

- إنها مسألة شخصية!

- مسألة شخصية؟! تعبث بأرضنا وروحنا وتقول مسألة شخصية. هذه الجيفة التي سوف تنشر ريحها، هذه الغرفة التي ستحولها إلى راية.. ملأت حياتنا رعباً وحزناً، ممتلئة بالثمار والأزهار، في القمة، وعروقها وأنساغها، تبيع الصبايا والعبيد والأرض..

- إنها حريتي، ما دخلك بي!

قيده، جره على الأرض، أحس الكهل بمذاق الحصى والأسى. لم يتكلم. غضب الآخر. شعر بالغيظ والمرارة. يداه تمسكان كتلة هزيلة من العظام والجلد، أخاديد من الخوف والذكريات. ترنحت أصابعه، فك الحبل، واحتضن العجوز:

- لا أعرف ماذا جرى.. ولكنه الرعب بكل تـأكيد. الرعب من السقوط في هوة سحيقة. في حلكة دامسة. لم يعد ثمة شيء واضح. مفجر الديناميت مساو للنملة. ليس ثمة شيء يعزيني، مدن، ناطحات سحاب، ليزر يشكل الوجوه، بواخر تضج بالرقص والأضواء في رحلات المحيط ولا حبل ينجيك من الغياب. الهوة السحيقة تقترب، قد ينفجر عرق، قد أتسرطن، أمسك بخيوط رقيقة تنقطع، أتحنط طويلاً في غرفة الإنعاش.. غداً تحل الظلمات. هناك شبح يحدثني، هناك..

في الصباح وجد الكهل متجمدا مشلولاً، عيناه وأصابعه تؤشر إلى جهة غائبة. صار كتلة من الغضاريف الرثة، لا صوت ولا موسيقى ولا نشوة.

سقاه وأسمعه أغنية. حمله على ظهره وسار. صارت الصحراء أقسى، صخور مشعة مثل الأفران، هواء ميت. الأسربة تتكاثر، خطواته تتباطأ وتتمزق، حبات من الظلال تنساب منه.

كتلة غريبة من العظام والجلد وأربع عيون مثل كرات الضوء البلورية وموسيقى، تزحف على الرمل المشتعل نحو جبل بعيد.

* * *

محمد القرمطي

من مواليد ١٩٥٤ (عمان). أصدر مجموعة ساعة الرحيل الملتهبة (١٩٨٨).

هواجس

الوحدة،

غرفة مهجورة تتوافد إليها غربان الوساوس العمياء، تحيلك إلى جيفة منتفخة باللامعنى حيث يلذّ لها نهش اللحم الاسفنجي الذي يتحلل مع الظلام. تهرب الأشياء بذكرياتها مثل غزال يجفل من صوت تساقط الأشجار وقد أصبحت باهتة بلا طعم أو لون أو رائحة، ويسكن الألم القادم من خلجان الذاكرة البعيدة جداً. تتورم الأشياء في الماضي وتظهر حقيقتها الهلامية عندما ترى

الأفكار مقلوبة على أعقابها كاشفة عن مؤخرتها كقرد كان قد شاخ على مسرح المهرجانات. تنسجم المتناقضات في رداء الأصل الوجودي بينما يبدو المعقول أكثر تناحراً عن أسلافه البدائيين هكذا، أرى الخرافة أكثر تألقاً على ذؤابة الفجر المتعقل.

الغرفة،

جسد متعب ينسل إليه الظلام وسط أحلام حطمتها عواصف القهر والمستحيلات، فقيرة كفقر أحلامي. تتعاطف مع وحدتي فيها مثلما يتعاطف السجان المقهور/ المسحوق مع السجين لحظة شد حبل المشنقة على عنقه.

تبدو كذلك، وأكثر من ذلك أنها تستدعي إليها أشباح الذكريات ومخلوقات يستحيل التعايش بينها وبين الإنسان في أحسن الأحوال. تجهض المشاريع الطفولية متواطئة مع عواصف القهر والخديعة.

اليقظة،

في الصباح، حيث رأيتني هلعاً، متوتراً، متقلاً

بغيوم اليقظة الصعبة، داهمني صديقي المجنون، وقد ساءته البشاعة الجسدية لمخلوق أقلق منامه ذعر قادم مع قبائل الريح، بخطاباته الشهوانية "ما رأيك في حمام بخار؟ سيريح الأعصاب وستنسلخ قاذورات الزمن المتراكمة على الجسد وستصبح كطائر متفائل مع أول إشراقة لشمس الصباح. ما أجمل طقس هذا اليوم، يدعو للهبجة والإنتشاء". راقبته بعينين متثاقلتين وأنا أنهض متلكئا، تتملكني الدهشة من تفاؤلية المجانين المفرطة أحياناً.. وأردف يقول "على مقربة من هنا، يقبع حمام شعبي تحت الأرض، ومن الجهة الأخرى يتمدد البحر كثعبان داهمه البيات الشتوي." وحتى يثيرني أكثر، تابع "وهناك سنلتقي بصاحبات الجلالة، صاحبات البهجة، المخلوقات الأنثوية".

أحلام،

كان امتداداً لأحلام البارحة، حيث كنت نائماً بانشراح تام، راودتني أحلام سعيدة في المنام. أ حلام أن أكون أنا، الإحساس بالحياة، معنى السعادة، فضاء الحرية، حلاوة الروح، جمالية الكائنات من حولي. كلمات لم أشعر

بها من قبل، عالم لم أحس به أبداً، روح لم تستكن بعد إلا في منامي، كانت شيئاً جميلاً. وكنت أتمنى أن يدوم النوم طويلاً مادمت سعيداً به، يصور لي مشروعات جميلة في فضاء ما.

كان هذا هو الجزء الذي أتذكره من الحلم. أما قبل ذلك، فلا أتذكر إلا أنني أتيت لزيارة صديقي المجنون يصاحبني شعور الوحدة والإحباط.

صديقي المجنون،

"هيا.. هيا، قف على قدميك" صرخ الصديق المجنون كلاعب سيرك يستنهض أسداً لبدء لعبة تهريجية. وواصل إغراءاته لي" من معصرة الحي الشعبي سنعب من عصائر الفواكه، وسنرتشف القهوة في أضخم فندق في المدينة، وسنتناول طعام الغداء في مطعم للمأكولات البحرية قدام البحر. أليس هذا جميلاً؟؟".

لم أستوعب إغراءاته، لكنني وافقته بهزة من رأسي المخذول، مستسلماً لخيالات جنونه العظيم. "هل تعرف ما الذي يجمع بين الأماكن التي سنرتادها؟" كاشفاً عن شيء من جنونه. دون الانتظار لرد فعل مني مثل

ديكتاتورية الديموقراطيين، أجاب "السياحة.... السياحة يا صاحبي، أينما تحل هناك ستلاقي الممكن واللاممكن، الوعي واللاوعي، الشيء واللاشيء، وهناك حيث البحر سيكون كل شيء أمام ناظريك، كل شيء بما في ذلك نفسك، هناك السباحة في، هناك يلذّ لك دفء الشتاء وخدرها، هناك ستتعلم أن تكون منبطحاً مستسلماً بملء إرادتك. الكل يمتزج بالكل ولا شيء يفصل الشيء عن الشيء، تختلط كل الأمور والأطياف والأفكار. تحت سطح البحر سترى مناوشات صبيانية بين فتيات مع بعضهن، وسترى فتاة تمتطي ظهر رجل قوّست ظهره كثرة الانحناءات... وسترى مشاهدات مألوفة مثل شاب يغوص إلى الأعماق... في لقطة عناق الدب، وسترى الكثير والكثير، ساعتها سيحلو لك احتساء شيء من الجعة، والبحر سيقذفك إلى نفسك، ذاتك التي سيجلبها لك من بعيد، من ما وراء الاحلام، من ما وراء الغياب، سيخلصك من صداعاتك المزمنة".

أي مجنون هذا الذي سينسفني هذا الصباح، أي معتوه أنا الذي يرافق المجانين، أي قدر هذا الذي يجمعنا. أعرف أنه قدر واحد يؤلف الشطح في رؤوسنا ولكل منا شطحه الخاص. جنوني لا يبزغ الآن في النهارات

الكاذبة. ينبثق عندما أكون وحدي في خلوتي، حينما تهدر سيول مخيلتي، تجرف معها أشكال مخلوقات ذكورية لها شبق أنثوي، استسلام أسود، سجود المتغطرسين، وتساقط الصولجانات. جنوني هو الفرح الذي أنتظره، ليس الفرح الذي يتطاير مع الريح، ليس صرعة أزياء ولا من صرعات الفن والأدب، بل هو الفرح بانقلاب كوني، بالدمار الجميل، بالموت السعيد، بالحرائق والفيضانات الروحية.

أمنيات،

بكل المودة التي داهمتني على حين غرة، سرت بجانب الصديق تتقدمني مواكب اللاشعور، تشق لي طريقا عبر الذاكرة، ضباب ينحدر على جبيني، يغسل مقلتيّ بملح الصبا، أخالني فتيا أسمي الدنيا بيت والوطن بيت والأم بيت والغرفة الصغيرة بيت والسرير الخشبي القديم بيت والدثار بيت ونفسي بيت وأنت لي بيت مادمت عذراء يا سيدة الفتنة، يا من ماتت وهي تحبني بجنون، أنا وأنت في جنون شامخ. وكان حنيني للبيت عذاب يجلدني صباح مساء من كل رمق، مع كل أفق حتى لو كان ضبابي، مع

كل روحي التي تبعثرت وهي لاتزال جنيناً. أتذكر اليأس الذي دبّ إلى روحي مثلما تدبّ جحافل النمل إلى مملكتها، وأنا طفل رضيع ماتت أمه وهو على حضنها. هكذا بتّ وحيداً في حياة أكبر مني، حياة صعبة وقاسية ليس فيها مكان للطفولي والبريء.

لم يبق إلا هذا الصديق المجنون الذي لا يأبه لهذا العالم سوى نفسه والحياة لنفسه. معه أجد العزاء لنفسي ولروحي التي شاخت مبكراً. حاولت أن أكون شبيهاً به، أن أكون التوأم، الظل، دون جدوى. كل منا يجد في الآخر ما يتمنى أن يكونه دون المقدرة على تحقيق ذلك. هو/ يتمنى أن يصبح مثلي كسولاً، خاملاً، يعبد النوم لينسى، يبني حصون العزلة لنفسه، ينصاع للموت الذي يهرب منه، الموت للجسد، للذاكرة، للخوف، لكل من عرفهم حتى لا يلتقي بهم ويذكّرونه بشيء.

وأنا/ أتمنى أن أصبح مثله فاقداً للعقل السوي، أدمر الأشياء قبل أن تستقر في رأسي بثوبها المنتفخ وتبعث لي فكرة، ألامس روح الحياة دون الغوص في جوانبها المؤلمة، الإحساس بأني أمتلك الحياة وأن الكون... خلق من أجلي. التعسف وسيلتي لاختراق

الحواجز النابتة في الرأس، لاختراق الحياة، أن تتقدم المفارقات بخنوع لتتآلف أمامي لحظة.

الفتاة،

في طريقنا إلى حمام البخار الشعبي، انضمت إلينا فتاة ذات عمر بوهيمي كأنها مخلوق من نار كانت على موعد مع صديقي المجنون. سرنا تتوسطنا الفتاة... حينها، شعرت بدفء يتسرب إلى عروقي، ينعش الحياة فيها.. رأيت البداية، زلال الكون، زلال الطفولة، تلك القدرة الخارقة التي تجعل مصير الإنسان لدناً، ترفاً، بوهيمية الحياة. وعندما نكبر، نكون قد قسونا، تخشباً، وغادرنا الزلال، زلال الإنسانية. أصبحنا كالشعرة ذات الحد الواحد، نقتلع بها جذورنا أولاً، ثم لابد من اقتراع جذور الآخرين، حتى تكتمل المساواة، وحتى تبقى الشعرة السوداء تُلهمنا دائماً عندما نضعف، عندما نعشق.

قلت: أحنّ إلى أمي...

اختلطت دموعها بالضباب الكثيف: وأنا أيضاً... أشمّ رائحتها؟

- وأنت أيضا!! أنا أحن لها لأني....

- أعرف.. أعرف.. لأننا نعشق الزلال ذاته، هل تعرف ما يجول بخلدي الآن؟ سأخبرك. شيء مقزز أن يهب الإنسان شيئاً مجانياً للآخرين. حقيرة تلك العواطف التي تُعرف بالإنسانية. هل تعلم أنني وحيدة، رغم كل جحافل العشاق التي تلتف حولي؟ صديقك، فقط، من تثب روحي إليه. وهو قربي، أحسّ وكأن حمى العواطف تنسل مني كالجيوش المتقهقرة، أحسّ بأنني قوية/ مُدمِّرة.

- إذن، أنتما عاشقان!!

- بلى... نعشق الجنون حيث لا حدود، حيث لا شفقة.

وكأنها همست في أذني "ارخ أصابعك التي تؤلم خاصرتي، لقد كشفت عن آفاق روحك الشائخة. أتدري!! كنت أفكر بك ونحن نمشي طوال الطريق. لذا سأدعك ترتشف الزلال الممزوج بالعرق والضباب، ترياق ناجح لقتل العزلة. أوَلست محقّة يا....؟

مازال يراودني الشعور بالغربة والضياع، فأجبتها: غريب... اسمي غريب.

- آه.. غريب!!

بلى... بلى... هو كذلك.

جمع بيننا صمت الحنين. هيّأ كل منا جوارح الحياة. اضطجعنا متعانقين، وكان الضباب يؤالف بيننا، يستر سرّ الحنين فينا، ويطوينا بانبهاراته المتصاعدة، وتصورت أننا ذبنا وأصبحنا كقطرة زلالية تتأرجح في الفضاء تبحث عن رحم يبعث الحياة فينا.

غرفة البخار،

كنا قد وصلنا حينما حررت الفتاة أصابعي من خاصرتها.

سمعت المجنون: "من حسن حظنا، نحن أول المرتادين".

اختفت الفتاة فجأة. وعلى بوابة الحمّام الشعبي لوحة كتب عليها "للرجال فقط".

وهناك في الداخل، ألقيت جسدي بسرعة في زاوية من زوايا غرفة البخار، وعندي أمل بملاقاة الفتاة البوهيمية هناك، أمام فكّي البحر، في عتمة الحانات البحرية حيث ستنتظرنا هناك.

الغرفة بيضاء كأنها الكذبة البريئة، والاغتسال من وجع الزمن كذبة. والأنبوب الذي وشوش بالبخار علا صراخه، وبدأ ينفث البخار الذي لامس أرض الغرفة ثم استمر في الصعود شيئاً فشيئاً مخلّفاً سحبا تعيث في فضاء الغرفة وكأنها مارد لم يصدق أنه خرج من القمقم كي يمارس جبروته الخرافي. تتلوى السحب البخارية بأشكال مخيفة كهوف الجن أو الأرواح التائهة. هي فعلاً كذلك، تتوالى الوجوه باستعراض سحناتها، أصدقاء عرفتهم، أصدقاء لم أعرفهم، غرباء ماتوا وغيرهم أحياء، أرواح أخرى أرى فيها... التيه والعذابات والحب و.... و.... وكأنني سمعت صوتاً يهدر من إحداها: "نعم، هي أنا. تلك الروح الأم، العظمى، ملكة الأرواح. الروح المهيمنة على أرواح الجسد الواحد. لا عقل لي ولا نظام. قانون البوهيمية المطلقة يحكمنا. سيدتنا الروح الأسمى، لاتزال تعيش في القدم، خلف أبواب العصور، تستعيد الزمن في اللحظة الواحدة لكل الأمكنة، لأجل أن يعيش الإنسان، تفعل ذلك سيدتنا. في جسد الإنسان الواحد أرواح لا نهائية، لا تبدأ ولا تموت. تهيم في الجسد فقط، في زمن مطلق ومكان مطلق. تنهار، تتمادى، تتكسر، تنعطف، تتحول، لكنها لا تموت بالطبع، هي ترحل فقط. يموت

الجسد لترحل هي إلى جسد آخر، أو أنها ترحل ومايزال الجسد على قيد الحياة. أتعرف لماذا نرحل والجسد لايزال حياً؟؟ لأن الإنسان عاق بطبعه، مليء بالشرور وسوء النية، يضيق الخناق علينا، ينفينا ويغرّينا، هذا أمر نحسه جيداً، هو لا يعرفه ولا يحسه. نحن معشر الأرواح متآلفين على الإطلاق في الجسد الواحد بكل متناقضاتنا، رغم سعي الإنسان إلى الشقاق بيننا، يفصل إحدانا عن الأخرى، يضاجع تلك بسخرية، ويقتل الأخرى بلا هوادة باسم أفكار وهمية تعشعش في رأسه. حاولنا أن نصرفه عن نزواته الغرائزية تلك، دون جدوى. مثّلنا له، كيف سيجهل الحب لولا روح الهيام، كيف سيجهل نفسه لولا روح التأمل، كيف ينعم بالعدالة لولا روح الشر... كل ذلك دون جدوى".

انقطع الصوت. أحسست بالاختناق، والبخار يرتفع إلى سقف الغرفة ويرتدّ عنيفاً بكثافته الأخطبوطية وكأنه يطرق رأسي لينبهني إلى وجود مخلوق ما بقربي.

صوت آخر، يهوي من سقف الغرفة، يلتهمني، يصبح بي، وكأن حوار دار بيني وبينه: ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- أتعنيني؟

- نعم، أنت...

- جئت لأنتعش بحمّام البخار.

- أقصد المدينة..

- لا أعرف... شيء يُطلق عليه "التيه" . ربما....

- لماذا لا تعرف؟ في موطنك، هناك، فجر جديد، حياة جديدة.

- لأنه الفجر فهو ليس بالليل ولا بالنهار. فضاء واسع لتيه جديد.

- أنت مخبول بلا شك. كفى استخفافاً بالأرواح النبيلة. ألا تراني؟

- عفواً، من أنت!!

- أنا؟ أنا؟ هو أنت.

- كلا... شتّان بيني و بينك.

- أنا، هو أنت، لأنك تعيش بأرواحي. أنت محظوظ لأن أرواحي، كلها، سكنت جسدك أنت فقط. لم تتبعثر إلى أحد غيرك.

تراكم البخار أمامي دفعة واحدة وتكوّم على المصطبة المقابلة لي كأنه مشهد انتحار آخر ديناصور في التاريخ في ذاكرة الرعب، ولازال الصوت يهدر بذكريات قديمة عن المدينة كنت قد نسيتها.

* * *

تركي العسيري

من مواليد ١٩٥٦ (السعودية). أصدر مجموعة أوراق جماح السرية (١٩٨٩).

السوسة

- كنت حديث عهد بالوظيفة!

•• نعم فلم يكن قد مضى على تعييني مديراً لقسم مكافحة الآفات الزراعية وقتاً طويلاً لذا، فقد كنت متحمساً لعملي الجديد.. ومتحمساً أكثر لوضع حد لتلك السوسة الخبيثة التي راحت تلتهم أشجار النخل، وتلتهم معها آمال المزارعين البسطاء وضنى سواعدهم المعروقة.

ورغم أن المسافة من بيشة - حيث أقيم إلى تبالة لم تكن تحتاج مني إلا إلى نصف ساعة أزجيها في الاستماع إلى حديث مذاع أو موسيقى هادئة. ورغم ذلك

فقد استيقظت مبكراً على غير عادة.. لأتقي شر جلبة السيارات القادمة من القرى المجاورة ورعونة سائقيها، وتناولت إفطاري على عجل.. ثم انطلقت بسيارتي ذات الماركة القديمة.

كان الطريق مثالياً لمن يكره الزحام مثلي، ولم تكن الحركة قد دبت في الطريق؛ بينما راحت أشعة الشمس تُطل بخجل من وراء الأكمة البعيدة، غير أنني لم أكد أبتعد قليلاً عن المدينة.. حتى بدا لي من بعيد رجل قروي وامرأة يرفعان أيديهما.. يحاولان باستماتة إيقاف السيارات القليلة التي تمر غير عابئة بإشارتيهما اللتين تصلان إلى حد التوسل والاستجداء.

توقفتً على مقربة منهما.. فاندفع الرجل ذو الملامح القروية الحادة إليّ وبنبرة منكسرة قال لي بلهجته الريفية اللذيذة:

- معك "يا الاخو" إلى تبالة! وحينما أومأت برأسي فتح الباب وارتمى في المقعد الخلفي، بينما وجدت المرأة حرجاً واضحاً في الجلوس على المقعد الأمامي.. ولذا فقد ألقت بنفسها بجوار الرجل العجوز على مضض. وبدا لي من نظراتهما إلى بعضهما أنهما لم يكونا متآلفين تماماً.

كانت نظراتهما اللتان رحت أرمقهما من خلال المرآة.. تشي بنوع من عدم الرضا والوفاق. رحت أغدو السير، والطريق يمتد أمامي بثقل، ورغم أنهما ظهرا لي كتمثالين حزينين من الخشب لا يكادان ينبسان ببنت شفة.. وعلى غير عادة أهل القرى.. فقد احترمت صمتهما، ثم لم يلبث الرجل أن مد يده لينتزع شيئاً ما من يد المرأة.. التي لم تقاوم ولكنها رمقته بنظرة مريبة.. كانا يهمهمان بكلمات خافتة لم أستبن كنهها؛ ثم ما لبث أن رفع الرجل صوته بعد أن استدار صوب المرأة:

- أنت امرأة قليلة أدب.. ما فيك معروف!

- ولكني قلت له الصحيح (قالتها المرأة).

- الصحيح.. أي صحيح يا امرأة؟

شدني الحديث فرحت أصغي السمع جيداً إلى حديثهما غير الودي بالمرة.

صمت الرجل قليلاً ثم تابع:

كان بإمكانك أن تقولي للقاضي حين استدعانا بالأمس.. إن زوجي مقصر في واجباته الزوجية:

- لقد " فشلتينا" يا امرأة!

تشجعت المرأة قليلاً.. واندفعت تقول:

- ولكني أقسمت أن أقول له الحق.

- أي حق؟ لقد تمنيت لو انشقت الأرض وقتها وابتلعتني بل وابتلعتك (واصل بحرقة واضحة).

- لقد فضحتينا. جعلتينا أضحوكة على ألسنة الحاضرين!

- لكن كل ما قلته صحيح يا عون!

- ولكنك أظهرتني كما لو لم أكن رجلاً بالمرة، صحيح أنني توقفت عن القيام بالأعباء الزوجية.. غير أنك نسيت أنني رجل مصاب "بالسكري" وأن "الضغط" يرتفع حتى يزلزل كياني، ويلغي أي نشوة عابرة في جسدي، ومع ذلك لم تقوليه للقاضي.!

لقد رحت ترددين دون أن يعتريك ذرة خجل:

- يا شيخ أنا واياه في الفراش سوا!

حريم آخر زمن! ألم تخجلي من نظرات "الكاتب" الذي يقبع على يسار القاضي؟ ألم تريه يداري ابتسامة ماكرة طفت على محياه حين قلت " ما فيه ما في الرجاجيل يا شيخ"!

أنسيت يا منيرة "أنني والد سالم وصالح ومحمد وهيا وسلطانة".

أنسيت أنك كنت وإلى سنوات قريبة تفرين مني كل ليلة، ولطالما شكوت من آلامك، ومتاعبك، وعدم قدرتك على الوفاء با..... بالحقوق الزوجية، أنسيت أنني لم أشكُ لأحد غير الله. كنت أوئد النار المتأججة في مساماتي وأوردتي.. وأقول غداً تشفى "أم عيالي".. وتريحني!

كان بإمكاني أن أؤذيك.. أن أداوي أمراضك بامرأة أخرى، نعم، ولكنني صبرت، وأستاهل (قالها بنبرة حزينة)!

صمت الرجل، وخبا انفعاله قليلاً.. وعندها رحت أرقب ملامح شفتيه المزمومتين.. وأعجبني أن المرأة لم تعر صراخه أي اهتمام. بدت هادئة إلى حد ما. كانت نظراتها ساهمة حيناً، وحيناً تدفعها إلى محيا الرجل الستيني عندما يعلو صراخه.

وبدا لي أنها تملك "سطوة" معقولة.. خاصة عندما يتمادى زوجها في الصراخ فتشير إليه أن يصمت مراعاة للرجل الغريب الذي هو أنا!

فلا يملك إلا أن يزدرد ريقه ويصمت على مضض!

وحين بدت "تبالة" تكشف عن وجهها القروي البسيط.. كانت أشعة الشمس قد ارتفعت قيد رمح. وكان الفلاحون ينتشرون بين مزارع النخيل التي بدت لي وقتها كئيبة مصفرة على غير عادة.. عندها توقفت في وسط الشارع الرئيسي للقرية، فاندفعت المرأة إلى خارج السيارة وهي تحكم من وضع شالها المسدل على وجهها.. بينما راح الرجل يتبعها بخطوات وئيدة، وكنتُ أتساءل وقتها وأنا أرقبهما عبر مرآة السيارة وهما يبتعدان عني ببطء: ما إذا كانت تلك "السوسة" اللعينة قد امتدت أيضاً إلى سكان هذه القرية الجميلة؟!

* * *

حسـن
النعـمـي

*من مواليد ١٩٥٩ (السعودية).
أصدر مجموعتين قصصيتين:
زمن العشق الصاخب (١٩٨٤)،
آخر ما جاء في التأويل القروي
(١٩٨٧).*

رحيل الأستاذ بخيت

مزيداً من الحيرة، مزيداً من التساؤل عن الكيفية التي صودر بها حقه في التعبير. يذكر أنه ذات ضحى تسلم خطاب ترحيله إلى قرية نائية. قرأ بمرارة السقم في داخله:

"بسبب تجاوزك في التعبير عن رأيك حول مسألة انعدام الطباشير فقد قررنا ترحيلك تأديبياً إلى قرية نائية".

التوقيع: *مسؤول الجزاءات*

قبض على صفحة الخيبة في يده. حدق في عينيه

من الداخـل. كـان دم الضـوء يجـري منتصبـاً كشـاهد قـبر قروي. انتهك حرمـة الصمـت التـي ظـل يـلزم نفسـه بهـا. تذكر أن أباه كان يردد: "الصمـت عبـادة". ومـرة قـال لـه: "اصمت، إن لم يكن من أجلك فمـن أجـل الآخريـن". أقلقـه صمـت الطباشـير أيَّمـا قلـق. أوحـت لـه المســألة بانطفــاء الضوء بين أصابعـه. ثلاثـون سـنة رافـق فيهـا الطباشـير. طوى عليها من شغافه دم الحب. الطباشير التي رسـم بهـا شكل الحقيقة، وجه الضوء، رائحـة الحـب، بادلتـه هـاجس الحيرة. ضُبط من قبل متلبساً بحالة عشق بيضـاء. قيل فيما بعد إنها كانت سنبلة الوصال التي أسكنها رحـم الطباشـير. في الصباحـات، كـان يرتـدي أعيـن الصبيـة. يملـي عليهـم لماذا أصبح للشـمس عيـن واحـدة؟! يذكـر أنـه عندمـا قـال عبارته ذات المذاق الغريب:

– أيهـا الصبيـة، هـل تعرفـون لمــاذا يوجـد لكـم أصابع؟

قالوا:

– "لا علم لنا إلا ما علمتنا"، ولكن ربما نـأكل بهـا حيناً، وحيناً نقضي بها حوائج أخرى.

قال:

- لم تبتعدوا، ولم تصيبوا عين غايتي، أصابعكم خناجر".

وصعد أحد الصبية، ورسم كفاً بخناجر، صفّق بقية الصبية، وحياه الأستاذ، وعاقبه مسؤول الجزاءات.

تصفح الأستاذ بخيت خطاب ترحيله مرة ثانية. تساءل بحدة: "ماذا يعني انعدام الطباشير؟" هو يعلم أنه قد حسم المسألة في ذلك الاجتماع الشكلي. يذكر أنها المرة الأولى التي قال فيها:

- لا، بصوت معجون بالصدق والعمق والوضوح.

سألوه بحدة:

- وماذا يعني انعدام الطباشير؟!

اندهشوا حين قال:

- يعني رحيل الضوء من الأعين.

استعاد جو الفوضى الذي ساد إثر سماع مقولته. راقب الأستاذ بخيت تقلص وجوههم، إحمرار أعينهم، سلبية الأفعال المضطربة. امتلأ وعاء السخرية في داخله. عرف أنه حاصر التصرف اللامسؤول في دواخلهم. لكنه

أبدى خشيته من عدم اكتمال دائرة التأثير، ومـع ذلـك آمـن أنه قد قال كلمته ومضى. ما يحزنه حقاً هو أولئك الصبية. كيف يواجههم بالنبأ؟ هـل يفهمـون مـاذا يعنـي انعـدام الطباشير؟ هل يحيطون بدائرة الأمور؟ هو متيقن أنـه أعطاهم قطعة من فؤاد. توضأ بحدتهم، بضوء أعينهم. الآن لم يبق إلا خطوات تضعه أمامهم. مشى إلى قاعة الدرس مستجمعاً كل القسمات التي ألفها، كل الشقاوات التي عشقها. مع الخطوة الأولى إلى الصف فوجـيء بالصمت، بالأعين التي تمتص البكاء. لم يكن لكلماته معنى. مشروع رحيله كان سؤالاً حاداً. حاصره إيقاع الكلمات الحائرة. تساءل: كيف يمكن أن يرتشف حيرة الكلمات من ألسنتهم. وجع الاغتراب يصهل في داخله، والبوح يغور في وحل الانتهاء. كيف يمكن أن يكـون للطباشير نهاية. إنه الاشتهاء الظاهر والباطن. من رحم الشمس ينبثق لون المدى، والأعين تتكور دماً للعشق والابتداء. ودّ لو يعرف كيف يكون لون الاختناق، شكل الذبول، عمق السقوط. ظل يرفض رحيل الأشياء بلا انتفاضة، بلا امتلاء.

هو الوجع القروي يأتي مراراً، وفي الطين يفتض شيخ بكارة موسمه. ويعلو على يده لون الخصوبة

والاشتعال، وتمتد أم بطول الطريق، تسائل الأقدام: لماذا وأين الرحيل؟ بحدة برق ليلي طرد ارتماءه الذبول في عينيه. أراد أن يشكل للرحيل في قدميه معنى. سأل الصبية أن يرقصوا. قال لهم باسم الطباشير نغني. دائرة بعرض أحلام الطفولة تشكلت. الأرض مارست عشق الإيقاع. الاقدام شربت فرح الغبار. الآن - قالها الأستاذ بخيت - أسألكم أن يكون لكم أعين تسألون بها، ثم مشى خطوة نحو باب الصف. مارس الصبية مثلها. التفت بدهشة. عاود السير. تسارع خطو الصبية في إثره. وقف ووقفوا عند باب الخروج. تمثلت له الأشياء بوابة من نار. سأل الفضول في داخله: أي خروج هذا؟! من أعماقه، كانت الأشياء تتشكل بشكل حميمي. هنا الأعين تورق اشتهاءً، تصهل حباً. يأتي هناك، هناك اللاشيء؛ انطفاء الأعين. خروج إلى اللاخروج. كيف يمكن أن يرى عينيه، أن يرسم وجه الطباشير؟! شكل آخر خطوة نحو الخارج. في التو، هزته يد قاسية أعادته إلى جو المكان. أدرك أن عليه أن يثق في صبيته. نزع من داخله رغبة البقاء. قادته أيد حديدية نحو الظلمة. سقط في السواد كلا شيء. في البدء، حاول أن يتذكر لون الطباشير، لكنه تذكر لون السوط وألمه. كان يمارس شهوة البقاء داخل مكان ضيق.

تذكر الصبية، والطباشير، والكف ذات الخناجر، ولم يصبر على الانتظار. ولما كان اليوم التالي؛ كان الصبية يزرعون الطباشير في الحيطان، ويسألون الشمس ضوءاً يضيء ظلمة الأستاذ بخيت.

* * *

محمد المنصور الشقحاء

شاعر، من مواليد ١٩٤٧ (السعودية). أصدر عشر مجموعات. منها: البحث عن ابتسامة (١٩٧٦)، الغريب (١٩٨٨)، الرجل الذي مات وهو ينتظر (١٩٩٤)، الطبيب (١٩٩٧).

اليتيم

جاء صوت أخيه أمراً. فكان أن ذهب رغم أنفه إلى منزل الأستاذ عبدالعزيز للقيام بخدمته وخدمة والدته وزوجته وطفلهم الرضيع.

لم يتجاوز الثالثة عشر، نحيل الجس، الفاقة واليتم ارتبطا به من سنته الثانية، يعيش مشتت بين منزل أخيه وأمه المتزوجة وبهذه الظروف كان ناجحاً في دراسته متقدماً على أقرانه.

بينما كان يصب القهوة ذات مساء لحظ مدرس الفقه الضرير بين الحضور. ارتبك ولم يهتم بالأمر،

وأدرك بأن المدرس عرفه وسوف يفضحه في الفصل بين زملائه بأنه خادم في منزل أحد الأثرياء.

ورافقه آخر الضيوف إلى منزله في حي آخر لإحضار العدد الأول من صحيفة يومية جديدة. كانت العاشرة من ليلة شتائية، هجر المارة فيها الطرقات، عاد وحيداً عبر طريق طويل.. ووجد عبدالعزيز قد اندس في فراشه.

استقبلته الأم بعطف وخوف، لفت حول جسده البارد بطانيتها ودعته يجلس أمام المدفأة في غرفتها.

تنبه على صوت الزوجة التي وقفت فوق رأسه بمنامتها؛ ألقت أمامه زوج جرابات.. طالبة منه غسلها بسرعة.!

دعك عينيه كان الضوء يعم المكان، تلفت حوله، تذكر المرأة العجوز خرج من الغرفة.

دعك الجوارب بين يديه، ثم ربطها حول حبل ممتد في فناء الدار، ثم أخذ يلاعب الطفل الذي أقبل نحوه في عربة تساعده على المشي.

ارتفع صوت شجار من داخل الدار بين المرأتين؛ تلفت حوله، طبع قبلة على جبين الصغير وخرج.

* * *

سلطانة العبدالله

(السعودية). مجموعتها الأولى تحت الطبع.

اللوحة المفقودة

أخذ يقفز كطفل حصل على لعبة جديدة.. يضحك تارة ويقطب أخرى..

أمسك باللوحة.. وهو يردد أخيراً، أخيراً.. أغلق النافذة، الشمس ستؤثر على الألوان والهواء والرطوبة.. لا يهم كل ذلك.

لم ينم.. استحضر آلاف الصور القديمة والوجوه لا.. لا.. تقلب في فراشه ثم التفّ بالأسمال.

حاول لم ينجح.. النوم مستحيل..

يقف أمامه.. يسأله انتهيت رد بفرح نعم.

وبتعجب. يسأله: أين هي؟! أيـن اللوحـدة؟ نعـم أيـن هي لم يحضرها.. لماذا؟!

لمـاذا لـم أحضرهـا؟ أخـذ يسـأل نفسـه.. وانطلـق مسرعاً أحضرها، رائع.. برافو.. بل يستحيل أن تكون أنـت من رسمها..!

ضحك وهو يقول: بلى أنا .. أنا رسمتها.

مـبروك فـوزك بالجـائزة الأولـى؛ اللوحـة رهيبـة، ولكن هناك أمراً أريد أن تفسره لي؛ تلك النقطة فيها لا أجـد لها تفسيرا.

ردد لا يهـم لا يجـب أن نشـرح كـل شـيء، هنـاك أشياء خاصة قد لا تكون النقطة وحدها..!

التصفيـق يتعـالى، يتسـلم جائزتـه والكـأس، يصـرخ بصـوت غريـب وينـادي باسـم مبهـم، يمـد يـده وكأنـه يهـدي الجائزة ويقدم الكأس لقادم.

عاد يلملم كتبه وبقايا ألوانه.. كتاب واحد وضع فيـه صورة قديمة مهترئة؛ تركه على الرّف وعلق اللوحة وخرج مسرعاً، أغلق المنافذ جميعها..

يسير بلا هدى، يسأله صالح: أيـن اللوحـة تركتهـا، ألا تخـاف أن يسرقها أحد..؟

سيكون لك شأن.. لم ينبس بكلمة يجر أقدامـه ببـطء شديد.

قبل صاحبه وتركه يسير وحيداً..

جلس القرفصاء في حوش متهالك الأطراف.

أخذ يحملق في الفضاء. لقد باع الحقيقة من أجل صورة، وهاهو يريد أ ن يسترجع الحقيقة.. بكل ما لديه من صور، ولكن هيهات..

عاد إلى غرفته لم يجد اللوحة والصورة أيضا..

وضع رأسه بين يديه صرخ أغبياء.. حمل الكتاب وألقى به أرضاً.

أستاذه يبلغه أن أحدهم يريد شراء اللوحة بأي سعر كان..

يهز رأسه بالرفض، يقول بهمس: لا لن أبيعها أبداً.

اقترب أستاذه، ولكنه سعر مناسب أم أنك لا تحب بيع أبنائك كما يقول البعض..

نعم نعم.. وفي نفسه يقول: لوحاتي ليست للبيع بل للسرقة.. سرقوا عمري فما قيمة لوحة ملونة تافهة.؟ إنها لا تساوي شيئاً بجانب أشياء كثيرة باعها بلا ثمن.!

عاد أدراجه انهمرت دموعه، حاول أن يغسل بها ماضياً.. ويطهر حاضراً أو يضيء مستقبلاً؛ ولكن فات الأوان..!

أخرج صورة أخرى أكثر وضوحاً تفحصها، ثم.. مزقها و ألقى بها، لم يعد بحاجة إليها!

عاد إلى الحوش القديم.. رائحة الماضي فيه حملته أن يلقي بجسده النحيل ونام ليله.. دون أن يتقلب أبداً.. حتى إنه لم يشعر بدفء الشمس.. وهي تغطي جسده..

غاب عنهم، بحثوا عنه.. لم يجدوه.!

كان وحيداً وسط تلك الأطلال.. يرسمها تارة ويغنيها أخرى.

المكان مليء بلوحات وألوان وفوضى ليس لها نهاية.

وأخيراً استطاع أن يرسم الصورة إياها..

احتضنها قبلها حدثها، بكى، هدد وتوعد، ضمها بقوة ونام، ولكن لم يستيقظ أبداً..

سقط صريعاً لخيال صورة داخله..

خرجت من بين أنقاض الطين حوله، نظرت إليه.

تمتمت: مسكين ذهب عمرك سدى من أجل وهم..!

حملت الورقة فتحتها شهقت.. لفتها بسرعة واختفت..

ولم يعلم أحد بعد أين أو من حمل اللوحة، ولكن هي وحدها.. كانت لديها إجابات عديدة، لأسئلة لم يستطع أحد أن يلقي بها.!

* * *

صالم سعيد باعامر

روائي، من مواليد ١٩٤٦ (اليمن).
أصدر مجموعتين قصصيتين: حلم الأم يمنى (١٩٨٣)، دهوم المشقاصي (١٩٩٢)، مجموعته الثالثة بعيداً عن البروتوكول تحت الطبع.

المكتّب

مثلي مثل صبية القرية، كنت أترقب ليلة حلول عيد الفطر الذي يزفه لنا كل عام (المكتّب) ، الرجل الهميم ذو الساقين النحيلتين والقدمين المتربين والعمامة الملفوفة حول الرأس مع انحدار يغطي جزءاً من الأذنين اتقاء حرارة الشمس وهبوب الرياح.. وذرات الغبار.

اقتعدت "دكّة" حجرية باعثاً ناظري إلى حيث بزوغ (المكتّب) تراءت لي رجليه المتلاصقتين وأنفاسه المتصاعدة، لهاثه، زمزمية الماء، زاده من الخبز والتمر (واللخم) محفظة القماش التي تحولت إلى صندوق بريد، يجول بها بين المكلا والقرى القريبة.

خطواته تسرع، تسرع، يحلق كالطائر، يهب كالريح، وإن تعب هدأ من سيره وفرمل كابحه ويعود إلى سابق سيره وفوق صخرة تسحب الهواء المنعش يستريح.

لما يتراخى الليل ويتآخى مع القرية حتى تضاء "الأتاريك" وتعلق فوق الجدران، لتستحيل إلى كواكب تنير المساحات والأزقة ليمر المكتّب.. ويراه الناس، لم لا وهو ناقل العيد إلينا.

يبدأ أحد أفراد الجماعة في جمع المساهمات النقدية من أفراد جماعته ويجول حول الدكاكين ليبتاع الشاي والسكر والبسكويت ثم يذهب إلى المنزل المعلوم لإعداد كل شيء، ووضع كل شيء في مكانه.

الكاسات، الفناجين الصحون الأباريق يبدأ أفراد الجماعة "الحياة" يداعب أحدهم الورق ويتهيأ البقية للعب يفصل البنت بعيداً والغلام أبعد و"الباشا" والياقر والفص أبعد فأبعد.

يفرق وريقات الهتين (السبيت) (الديمن) (الكروال) يعيد جمعها يفرقها ثانية.. يصفها ويرصها رصاً متناسقاً، يضعها أمامه فوق الحصيرة الخوصية يفصل ما يقارب نصفها قبل توزيع الدفعة الأولى من الأوراق للعب اللعبة الأولى.

ينظر اللاعبون إلى بعضهم بعضاً.. ويتفاعل السؤال؟:

"ترى هل سيهل الليلة (المكتّب)؟

أنا وشلة من الصبية نطوف المنازل إن سمح لنا كضيوف ثقلاء، نحتسي ما تبقى في قعر الفنجان، نلتقط بقايا الحلوى والأناناس والبسكويت، نتابع سماع الحاكي وهو يصدح بصوت محمد جمعة أو يسلم دحي أو عمر غابة ولما نمل، نتغامز ونحيل عيوب أحد أفراد الجماعة تسلية لنا أو سخرية، نسخر بطريقتنا وبلغتنا نتسلى..

نقلد حركات أحدهم أو غناءه حين يقلد المغني أو حين يصرخ المهزوم في اللعب "يا قهراه" وإن ارتفعت أصواتنا أو كشف أحدنا ورق أحدهم لخصمه سرعان ما نطرد عندئذ نثأر لكي نعود بالصراخ وإن لم نعد فيرمي الحجارة والحاكي يصدح " يا راد يا عواد يهمهم أحدهم ثم يصرخ" يا راد يا (مكتّب) ينجز مسؤول الجماعة مهمته ويغادر إلى حيث يناوب أفراد الشرطة متنبئاً أخبار (المكتّب). ثم يعود ساحباً رجليه يتثاقل وبإجابة سلبية يبث فيهم الخيبة فيعزون أنفسهم بالغناء ولعب الورق ورفع كل خصم عدد الفورات.. ضد الخصم الآخر ويزيد من احتساء الشاي ولقم الحلوى والأناناس وتحميل الحاكي مزيداً من الاسطوانات.

لملمت الساعة عقاربها لتصل إلى الثانية بعد منتصف الليل، فيهم المتسامرون بلملمة أنفسهم والعودة إلى المنازل لتناول أي شيء يحل محل السحور.

على حين غرة، هل (المكتّب) وانطلقت الأعيرة النارية مبددة ما يتفاعل في النفوس فيتموسق كل شيء تزداد الأتاريك ضياء والمنازل حياة والأزقة حركة والناس انشراحاً..

تتعانق القلوب تتزاحم الفرحة في النفوس يفتح المكتّب محفظته ويناول مسؤول القرية البريد، ويشير إلى ورقة بعينها تنطق بثبوت العيد.. بعد أن شوهد الهلال في غيل باوزير مصدقاً من قبل رئيس المجلس العالي للقضاء.

الحناجر تتماوج مشكّلة سمفونية روحية. تهز الوجدان عشرات الأصوات تكبر وتلتصق الروح بالجسد أكثر فأكثر؛ ويقترب المرء من معانقة السماء ساعات قلائل؛ ويعود المكتّب إلى قريته أو مدينته أو واديه لينعم بين أهله بالعيد..

ينطلق صوتاً من بين الناس

"إلى اللقاء"

يستخرج من داخله بسمة تمتزج بحسرة:

- بالعافية ستزف لكم العيد "السيارة".

ويدبر محلقاً كالطير يهب كالريح؛ وإن تعب هدأ وفرمل كابحه و......

* * *

هـــــدى
النعيـــمي

(قطر). أصدرت مجموعة المكحلة (١٩٩٧).

القصيدة الأخيرة

كتبت في السطر الرابع من الصفحة البيضاء:
يقول صديقي.... بأنّي مت
وإني ارتحلت..... إلى حيث جئت
لأني أردت بلوغ السماء
صنعت الأماني بالكبرياء
صنعتُ أنهراً.... من المستحيل
أردت الكثير.... رفضت القليل

وبعت الليالي.... بيوم جميل

نقطة..، أسقطت القلم من بين أصابعها ونظرت إلى القنينة الصغيرة، التي لا تحمل والسائل بداخلها لوناً، لكن المرارة تصل.

وقفت، أزاحت ستائر الغرفة ليدخل النور الشمسي العريض ويختنق ضوء النيون، خطوات دائرية غير محددة ثم اتجهت إلى المكتبة الشامخة.

في قلب المكتبة غرست أصابعها وأخرجت أحد عشر كتاباً بنفس الحجم ترتص متحاذية أو متلاصقة، شددت القبضة على الكتب ومشت بنفس الخطوات الثقيلة إلى المكتب، ووضعت الصيد على مساحته المنفرجة، ثم فرشت صيدها لتراه بوضوح، الأحد عشر كتاباً مرتبة على المكتب تنظر إليها دون تعليق، تناولت الكتاب الأول: ديوان شعر، نظرت إلى الاسم الذي يزين الغلاف الأبيض فتحت الصفحة الأولى بحرص حتى لا تنقطع:

إهداء، إلى من اختبأت بين الشطور.

أعادت الكتاب إلى مكانه وتناولت القلم وخطت:

يقول صديقي بأني مت

وإني ارتحلت.... من حيث جئت

لأني جمعت عشب البراري

وبالعشب داويت حلمي الجريح

لأني بالحلم داويت ضعفي

فأصبحت سيلاً.... ورعداً ...... وريح

يقول صديقي.... بأني قتلت

وفوق أكتاف حلمي.... حملت

نقطة، أراحت القلم وارتحلت بالنظر إلى الكتب المفترشة لمساحة المكتب، تناولت الكتاب الثاني: ديوان شعر، يحمل الاسم نفسه على الغلاف الملون، فتحت الصفحة الأولى:

إهداء، إلى نبض القلم بين أصابعي.... إليها هي.....

أعادت الثاني وتناولت الثالث، ديوان شعر عنوانه "الخرزة الزرقاء"، إهداؤه يقول:

لأجلها صنعت عقد القوافي؛ ولأجلها كل الخرزات الزرقاء.

أعادته مكانه، تناولت الديوان الرابع:

إهداء، إلى الجمال المجنون الذي أدعوه شعراً.

ظلت ممسكة "بالجمال المجنون" لتدفيء به أصابعها أو لتدفئه بأصابعها، قلبت وريقاته..، في الصفحة العشرين قرأت:

وحين التقينا

سمعت من الصمت صوتاً خفيفاً

يقول تهاوت هموم السنين

يقول تناءت ظلامات أمسي

يقول تلاشى المساء الحزين

أعادت النظرات إلى الشطور وأطالت النظر..، فتحت درج المكتب وأخرجت ورقة قديمة بخط يدها تحمل الأبيات ذاتها، وضعت الورقة القديمة فوق الصفحة الواحدة والعشرين، وتأملت الصفحتين المتقابلتين، ابتسمت بلا معنى وبلا هدف ثم اختطفت ورقة بيضاء جديدة وخطت:

وحين افترقنا

سمعت من الصمت صوتاً زعيقا

يقول هلمي هموم السنين

يقول تسامت ظلامات أمسي ليوم الأنين

يقول إلى..... المساء الحزين.

طوت الديوان الرابع على الصفحة القديمة والجديدة وأعادته مكانه، وأمسكت بالقنينة الشفافة، حركت ماءها الراكد وراقبت سطحه الراقص حتى عاود الركود ثانية، فركدت حدقة عينيها معه.. تناولت القلم وخطت في الورقة الأولى..

يقول صديقي.... بأني مت

وأن دنياي كان وكنت

لأني بشعري فضحت الشعور

إلى شاطئيك.... أردت العبور

لأن لقلبي قلباً.... عنيداً جسور

لم يرض يوماً بجزء الحلول

وإن كبلوه.... "نعم"..... لن يقول

فكيف لقلبي هذا الصغير

ليفرح يوما بداخل سجن بقيد وسور

يقول صديقي بأني مت

وأني دفنت حين أردت.

نقطة ثقيلة، أسقطت القلم ثانية أو خامسة، ودارت بالعين على الدواوين الأحد عشر ثانية أو خامسة..

أمسكت بالسابع: إهداء إلى عشاق الكلمة المتدحرجة على السلم الموسيقي؛ أهدي آخر ما خطه اليراع..

تتفتح بعض الصفحات وتعانق الحروف المرتصة.

ويأتي زمان سفيه المعاني

ليسرق مني كل الأماني

ويحرق نبضي بنار كياني

فأصرخ... أصرخ.. جن زماني

لم تفكر كثيراً، صنعت بالقلم خطاً بعد السطر الأخير وكتبت

جن صديقي....... كل زماني

ثم كتبت اسمها الثلاثي في ذيل الصفحة، ورسمت

التوقيع المعتمد في الأوراق الرسمية، أغلقت الديوان ونظرت إلى الغلاف الفاخر وألوانه الصارخة واسمه المرتكز في الوسط بإبهام اليد حاولت مسح الاسم المتصدر للغلاف، لحست الإبهام وعاودت محاولة مسح الاسم.. لم تفلح، أمسكت القنينة وقلبتها على الغلاف، على صدر الغلاف، لم ينسكب السائل المتنازل عن ألوان الطيف، القنينة محكمة الإغلاق..، تخيلت أن الاسم قد شرب السائل فرفعت القنينة المغلقة وأعادتها مكانها والكتاب إلى مكانه المتوسط لأخوته الأحد عشر.

فتحت الدرج الثاني للمكتب وعبثت بين محتوياته، أخرجت علبة سجائر سبق فك قيدها..، نحت رأس العلبة عن متنها لتخرج خمس رؤوس لخمسة أصابع مستقيمة، بلا تردد سحبت إحداها وضعتها بين شفتيها وعادت إلى القلم تحبسه بين الأصابع.. وتكتب.

يقول صديقي... بأني مت

وأني – وأسفي – ما قد ولدت

لأن لقلبي سمات تعيب

لصوت الحراسة لم يستجب

لسود الليالي..... لا ..... لن يجيب

تناولت عود ثقاب أشعلته وأشعلت به السيجارة، وأكملت....

وجاءت سهام.... ونبضي أصيب

وكانت سويعات.... ليل رهيب

يقول صديقي.... وإني أنيب

.... بأني قتلت

إلى أمجاد نفسي.. رفعت

نقطة، دون أن يسقط القلم، سحبت نفساً عميقاً من السيجارة، لفظه الصدر الممتلىء بسود الليالي والنبض المصاب.

بدأت نوبة من السعال الحار المسترسل، أطفأت السيجارة على طرف المكتب، ولم تأبه أن الكي أحال لون الخشب إلى الأسود.

أمسكت بالديوان الحادي عشر، إهداء: إلى ليلى التي لم ولن تولد.

أعادت الديوان، واليد ترتجف بفعل السعال المتواصل، دفعت بكرسي المكتب إلى الخلف قليلاً،

تحركت خارج المحبس، توجهت إلى الدولاب، فتحته على مصراعيه خرج صوته من بين الرفوف الخالية، "لن تشتري كتاباً مادمت زوجة لي".

تحركت شفتاها " بل أفعل"

من بين الرفوف خرج الصوت "أنا الشاعر الكبير وليس لك إلا أن تكوني من ورائي".

جاهدت لتصرخ من بين زحام السعال.

"أنا من كتب هذه الأشعار... ونظم القوافي......."

وتسعل بشدة.. تنظر للدواوين المفترشة لمساحة المكتب وتصرخ

"وهذه الأحد عشر هي لي وحدي.. وليست لك.."

تسعل ويتعالى السعال مع الصرخات.. تعود إلى المكتب الهادىء، تمسك القنينة؛ تفتح الغطاء المحكم.. بهدوء تدس السائل الشفاف إلى جوفها في جرعة واحدة...

يهدأ السعال..، تمسك القلم تكتب في السطر الأول: إني راحلة

السطر الثاني: إهداء

السطر الثالث: إلى الشاعر الذي يعرف لماذا!!

تريح القلم على الصفحة ولا تلبسه الغطاء.

تريح جسدها المنهك على السرير القريب

جف مداد القلم... ولم تنهض.

* * *

سعود الجراد

(السعودية). يعد لإصدار مجموعته القصصية.

هروب

وصلت أختي الكبيرة "موضي" إلى بيت أبي وحقيبتها معها وكانت تبكي وتقول لأمي: لن أرجع إليه ثانية.

أمي لم تخبر أبي بما حدث لأنها تعرف رأيه الثابت والجاد في مثل هذه المواضيع: المرأة ما لها إلا بيت زوجها.. موضي مكثت ثلاثة أيام في بيت الوالد لم تحاول أن ترى أبي ولم تنزل إلى الدور الأرضي وكان الأكل يصلها في غرفتها خوفاً من أن ترى أبي ويسألها عن زوجها وأطفالها الثلاثة ثم تجهش بالبكاء ومن ثم

ينكشف سرها. غادرت بيت زوجها ليلاً بعد أن قام بضربها وتركت أطفالها الثلاثة خلفها في بيت أبيهم قائلة لأمي: خليه يبلش فيهم. طوال الوقت، كانت أمي في حوار داخلي مع نفسها والغضب النبيل يطل بصمت من عينيها وتجاعيد وجهها المجدور.

وعلى مقربة من أمي كان أخي الأصغر فواز التفت إلي قائلا: كل الحكاية أن أختك طلبت من شجاع الفزاع أن يهتم ببيته وأولاده ويتناول طعام العشاء معهم قبل ذهابه إلى الشلة في الاستراحة.

وماذا حدث؟ في ليلة البارحة عاد شجاع من الشلة بعد منتصف الليل، كالعادة وجد الباب المؤدي إلى غرفة الأطفال مقفلاً غضب حاول أن يفتحه كانت موضي نائمة ثم كسر الباب وضربها بالعقال وحصل الذي حصل.

عندما أخبرني فواز بالحكاية لم أقل شيئاً البتة اكتفيت بالصمت والتحديق في سياج الغنم المبني في عناية فائقة في أقصى الحديقة ثم صعدت إلى غرفتي.

في غرفتي كنت أحدث نفسي: يا شجاع كن شجاعاً تجاه الذين ظلموك ذات يوم.

أمي لم تطلب مني شيئا أقوم به تجاه هذه القضية،

قلت لنفسي غداً سوف أذهب إليه في الدكان وأتفاهم معه، ثم تذكرت بأننا سنتشاجر في أول كلمة تدور بيننا ثم تضيع الأفكار لأننا لا نعرف فن التحاور والنقاش الهادىء، قلت لنفسي سوف أكتب له رسالة وأضع فيها النقاط على الحروف وأذكره في بعض أقواله عن التربية والتحضير التي قالها في مساء حميم.

أحضرت ورقة وقلماً وصرت أكتب بعض رؤوس الأقلام.

***

" لغة الضرب لغة العصور البدائية!"

من العار أن يضرب الإنسان أخاه الإنسان!

هل يعقل هذا يا شجاع ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين؟

من المفترض فيك وأنت الشاب المتعلم أن لا تستخدم العنف مع رفيقة دربك وأم أطفالك مهما كانت الأسباب.

أنا إنسان محب للعدل إلى درجة أني أطلقت اسم عادل على ابني الأكبر فلا أقبل بالظلم للآخرين ومن العار أن أصمت على ما حدث لـ موضي."

***

انتهيت من كتابة رؤوس أقلام الرسالة المنتظرة عند الفجر، ثم نمت. صحوت من نومي عند الظهر وأخبرتني أمي بأن موضي بين أطفالها الآن في بيت زوجها منذ الصباح الباكر.

* * *

يحيى بن سلام المنذري

من مواليد ١٩٧٠ (عمان).
أصدر مجموعة نافذتان لذلك البحر (١٩٩٣).

الفقاعات الملونة تقبل خدي الطفلة بحنو

أرى من بعيد، الأم تدلق من الشرفة ماء بفقاعات صابونية، لتأتي طفلتها بعد ذلك تتأمل بفرح ذوبان الفقاعات في فم التراب. وفوق السطح شقيق الطفلة ينفخ في أنبوب صغير فتتطاير منه فقاعات ملونة، أقترب قليلاً والطفلة تلاعب الفقاعات، وتأتي الأم مرة أخرى كي تدلق جردلاً آخر من ماء الصابون، والطفلة في كل مرة تتنحى عن هطول الماء على رأسها، تتطاير الفقاعات الملونة فوق رأسها المنتشية وتحاول منع وصول الفقاعات إلى فم التراب.

أقترب أكثر وثمة أمنية تراودني بأن ألعب بالفقاعات، أشاهد الأم وكأنها مستاءة، تدلق جردلاً ثالثاً من ماء الصابون، الفقاعات تحمل بداخلها عيوناً ملونة تطير بها في الجو الجاف لكنها لا تصل ناحيتي ربما لأنني لست قريباً جداً، أما الطفلة فتحاول أن تغطي فم التراب بيديها الصغيرتين وتضحك ببراءة، بينما بعض الفقاعات تقبل خديها ببرودة وحنو. وأخوها مستمر في إحياء المشهد بفقاعات جميلة وناعمة.

هذه المرة اتضح لي وجه الأم، طفولي، غاضب، صامت، ذابل، فستانها ذو لونين غامقين وثمة لحاف يلف رقبتها بينما شعر رأسها يبدو جافاً، وهي لا تحاول أن تنظر ما تحت الشرفة، فقط تظهر كوميض غاضب وتدلق ماء الصابون وتختفي في الداخل بينما طفلتها تحاول جاهدة الاحتفاظ بالفقاعات لأطول فترة ممكنة في يدها.. وفقاعة كبيرة نزلت بهدوء على كف يدها الصغير وبنفخة خفيفة من فمها الوردي طيّرت الفقاعة وتحولت إلى رذاذ، ماذا لو امتلأت الأرض بفقاعات صابونية ملونة.. هل سيصبح جميع الأطفال سعداء؟ وهل جميع الأمهات يدلقن ماء الصابون بغضب؟ وهل كل طفلة تمتلك شقيقاً يرسل لها فقاعات ملونة؟ ربما الأم تخرج وتدخل غاضبة بسبب

أنها تخوض معركة نزاع مع زوجها، وربما هو جالس على كرسي أو على بساط أو سجادة يقرأ صحيفة أو يشرب قهوة وربما يساومها على أن يؤجل رحلة النزهة لأسبوع قادم.. أما هي فتغسل البيت بالماء والصابون؛ لذلك فرأسها ثقيل بتفاصيل البيت الكثيرة والمتكررة فتتشرب الحزن والغضب والهم، إذ لا أعتقد أنها تملأ الجردل بالماء والصابون لمجرد التسلية أو تمضية الوقت أو لمجرد أنها تنفس عن نفسها، أو أنها تفعل ذلك كي تلاعب طفلتها بماء الصابون لأن هذه الوظيفة يؤديها أخوها من فوق سطح البيت.

يبدو على الطفلة الاندهاش من الذوبان السريع للفقاعات سواء في الجو الجاف أو في يدها أو في فم التراب، وقد تكونت بركة صغيرة جداً في كف يدها واستحالت البركة إلى دغدغة لطيفة تضحكها. بينما هناك برك صغيرة تكونت حولها لا تحاول هي أن تقترب منها وتتنحى بقدر الإمكان عن ماء الصابون الذي يهطل من فوق الشرفة بين فترة وأخرى.

أنا الآن خلف الطفلة بمسافة قليلة جداً، وهي تنتظر قدوم مجموعة أخرى من الفقاعات مثل انتظاري لها أيضاً، رغبة تلح عليّ أن أقبّل الطفلة في خدها وألعب

معها، وبينما كنت أتطلع فيها بحنو وشوق خرجت الأم من باب البيت وحملت طفلتها بغضب إلى الداخل بعد أن حدجتني بنظرات غريبة يشوبها الخوف، لم أتحمل تلك النظرات، واختفى أيضاً شقيق الطفلة.

ابتعدت عن المكان دون أن ألتفت خلفي وربما خرجت الطفلة من جديد كي تلعب بالفقاعات واستمرت الأم في دلق ماء الصابون.

* * *

عبدالعزيز الزبيــري

اليمن

الغريق

حديث هـاملت لصديقـه هوراشـيو وهـو يعـاني سكرات الموت: "لو أنك احتفظت بمحبتي في قلبك، فلتغب عنك السعادة لحظة، ولتكن أنفاسك مصحوبة بـالألم عندما تحكي، في هذه الدنيا القاسية، قصتي..."

شكسبير - هاملت - الفصل الخامس

لم يرد في خاطرنا مرافقته، لكنه استحلفنا بالصداقة التي بيننا، ولم نجد مفراً أمام إصراره اعتقدت أنه بالغ في التعبير عن لهفته للصيد والسباحة، وافقنا بتململ، واشترطنا عليه العودة قبيل هبوط الظلام، تناولت من "فريزر" الثلاجة شرائح "الحبار" كطعم للسمك.

رفع بيالة الشاي إلى فمه، برزت شفته السفلى، وأصبحت شفته العلوية ومقدم أنفه داخل البيالة، وأغلق عينه اليسرى أشبه بمن يصوب بندقية، ثم شفط ما فضل في قاعها، طرق سمعه خرير خيط الشاي ينسكب من الإبريق في بيالته، استأنف:

- كان يوماً خالياً من العمل، عزمنا فيه على الذهاب إلى وسط المدينة، لا وسط البحر. قال لنا: هيا، بوسعكم أن تتسوقوا ما تشاءون، لديكم الليل بكامله، كنا ندرك أنه أمهرنا في الصيد والسباحة، وإن لم نعترف له بذلك علناً سواء في حضوره أو فيما بيننا.

رفع إبطه وعضده من فوق "المركى" وجلس متربعاً. أشعل سيجارة، وسحب نفساً عميقاً، ثم دفع الدخان أمامه عبر دائرة شكلها بشفتيه. أشار بسبابته كأنه يشير إلى شيء بعيد، وقال:

- كان قاربنا الصغير - الذي نملكه نحن الأربعة - منزلقاً بعيداً إلى عرض البحر بعد أن انحلت عقدة الحبل الذي يشده إلى اليابسة، كان سيدفعه الهواء إلى وراء الأفق، لولا ثقل المرساة. لم تكن الأمواج طويلة تنطوي وتنفرد، بل موجات تصطفق ببعضها بعنف، مثل ما سيفعله الماء في طشت تهزه بين يديك، وقد علا صفحة الماء المالح نمش من زبد كندف القطن. والسماء فوقه صافية الزرقة. كان وجه البحر إجمالاً متعكراً من خربشة الرياح المتضاربة الاتجاهات، تصدى "صاحب الفكرة" للأمر، خلع قميصه وبنطاله، خطت قدماه الحافيتان أثراً لخطواته في رمال الشاطىء الرطبة، رشفت موجة ساقيه برغوتها قبل أن تصفق بالجال وتنسحب، شق طريقه حتى أطبق الماء عليه حتى منتصف صدره، ثم طفق يجدف بذراعيه، وقدميه عائماً، حولت بصري عنه لفترة يسيرة، قبل أن يصل للقارب بمسافة قصيرة، بدا لي أنه يتخبط في الماء أومأت إليه، مدا نظريهما نحوه، قال أحدهما: "لابد أنه يهرج"، ابتسم الآخر، اختلج قلبي أو "قرصني" كما يقولون، ودهمتني رطوبة خاطفة أفرزتها مسام جلدة رأسي ثم عمت جسدي، فوراً، خلعت قميصي، وسلت سروالي الرياضي، الذي انجر خلفي بخطوات قبل أن

أخلص قدمي منه، كنت ألهث بشدة حين اقتربت من المكان. رأيت جسده ينساب نزولاً بعد أن كلت مقاومته. استكان للماء المالح. دوامة أبت عليه إبقاء رأسه خارج الماء، حالما جردته من طاقته. من الخلف دنوت منه، وضعت كفي تحت إبطيه، وجدفت بقدمي صاعداً به، لا أدري، هل حظي أم حظه أم حظنا معاً؟ من أرسل طوقا خشبياً متآكلا ومبقعا بالطحالب، طافياً لصقنا ، بعد عناء، أسجيته على صدره وبطنه فوق قطعة الخشب الطافية، وباقي جسده ظل متدلياً في الماء.

كان طرف فلتر سيجارته بارزاً جهة باطن السبابة والوسطى الممدودتين، ناوله ضربة خفيفة بطرف إبهامه ، سقط رماد في المنفضة، أخذ نفسين متتابعين، توجهت جمرة السيجارة، تسلل ببطء دخان كثيف من منخريه وفمه ومر أمام عينيه أشبه بلقطة مسرعة لسحب تتحرك. ابتلع رشفة شاي وتابع:

– لو لم أكن مجهدا، كنت دفعته والطوف إلى القارب، ثم انتشلته، قفزت قفزة صغيرة وارتميت فوق الطوف على بطني بجانبه، وتشبثت بالحافة الأخرى للطوف. كنت في حالة.. سمها حالة "لهثان" تمنيت ثقوبا

أوسع للتنفس، أغمضت عيني مركزاً كل تفكيري على استقطاب الهواء، لا صوت سوى صوت الشهيق والزفير، انفرج جفناي، لم يكن هناك أحد بجانبي، انسل من فوق الطوف. ثوان قليلة، ولكنها كانت كافية كي يتلاشى كنفحة من دخان. وصل الآخران لاكتناه الأمر. جلنا غوصاً في المكان، دون جدوى اختفى في الأعماق التي تعذر علينا بلوغها.

التلقط البيالة من عروتها، وجرع الشاي دفعة واحدة، ثم وضعها تحت فم الإبريق، الذي ارتفع وملأها، ثم أكمل:

- في حقيقة الأمر، ما وضعته فوق الطوف ليس جسداً، بل جثة، توثقت من استنتاجي هذا، خلال اجترار ذاكرتي الذي لم ينقطع للتفاصيل، كان الماء يشخب من أنفه، كان جثماناً سقط من نعشه... لا أكثر ولا أقل.

مسد الشعر النامي فوق أرنبته برهة، ثم قال بأسى:

- فور خروجنا نحن الثلاثة من البحر، وقفنا منذهلين بوجوه أطبق عليها الوجوم، أطرقت برأسي أتطلع عبر قطرات تسقط من شعري المبتل. إثر انغراز

خطواته الأخيرة في رمال الشاطىء، يخطر في بالي، أنـي رمقت بزاوية عيني نورساً أبيض يحلـق بعيداً فـوق حافـة الأفق، وصوت رفرفة جناحيه تتناءى في أذني.

أطفـأ عقـب سيجارته بتوتـر، وهـو ينفـث نفسـها الأخير، وأردف قائلاً:

- كانت لحظة صمت ثقيلة، استعدت فيهـا شـريطاً من التعابير المتباينة لوجهه، وقد رانت على البحر هدأة لا صدع فيها. وكانت أشعة الشمس الشفافة تتساقط على وجه البحر،، الذي كان يرتعش أمامنا بالضياء.

* * *

أحمد بوقري

السعودية. مواليد مكة المكرمة ١٩٥٤م. له مجموعة قصصية بعنوان (خارطة للحزن والزي) ١٩٩٤م.

قصص قصيرة جدا

١ - واقعية:

قرر المهندسون والمحاسبون الخروج معاً في نزهة بالقطار، قطع المحاسبون خمس تذاكر، أما المهندسون الخمسة فقد قطعوا تذكرة واحدة عندما صعدوا القطار وأخذوا أماكنهم تعجب المحاسبون وسخروا من المهندسين وأغلظوا الأيمان بأنهم لن يستطيعوا إتمام الرحلة، وفي مواجهة ذلك اكتفى المهندسون بالابتسام.

قبل مجيء محصل التذاكر بدقائق هرع المهندسون ودخلوا جميعاً إلى إحدى غرف التواليت وأغلقوا الباب وراءهم، قدم المحاسبون التذاكر للمحصل مر المحصل على غرف التواليت صائحاً عند طرق كل باب "تذكرتك يا أستاذ"، وعندما طرق المحصل الباب الذي يختبىء وراءه المهندسون دفعوا بالتذكرة الوحيدة من تحت الباب، فالتقطها وذهب، بعد دقائق خرج المهندسون ورجعوا إلى مقاعدهم مقابل زملائهم المحاسبين وسط غيظهم ودهشتهم.

وصل القطار إلى الاستراحة التي قرروا قضاء يومهم فيها وفي رحلة العودة اشترى المحاسبون هذه المرة تذكرة أما المهندسون فقرروا صعود القطار بلا تذاكر.

وقبل مجيء المحصل بدقائق فعل المحاسبون ما فعله المهندسون، هرعوا فانحبسوا جميعاً في إحدى غرف التواليت هرع أيضاً المهندسون واختبأوا في التواليت المقابل.

بعد ثوان قليلة قرر المهندسون أن يخرج واحد منهم ويطرق باب المحاسبين، طرق المهندس الباب وصاح "تذكرتك يا أستاذ" دفع المحاسبون بتذكرتهم الوحيدة

من تحت الباب التقطها المهندس وقفل راجعا مغلقاً الباب من ورائه قبل دقائق من مرور محصل التذاكر.

٢ - رومانسية:

كان يقضي معها ساعات طويلة على الهاتف أعجبه صوتها.. منطقها وضحكتها الشقية أعجبه أيضاً اتقاد لهفتها وولعها به كان يرسم لها صورة وردية للحياة معه، وكانت هي تفعل معه أيضاً، كان يجهد في الوصول من نبرات صوتها وأسلوبها في الحديث معه إلى تشكيل لملامحها سألها أكثر من مرة أن تصف نفسها له لكنها كانت تطلق تلك الضحكة التي تشعل بدنه.

بعد أن أمضى أسابيع طويلة في محادثاته الأثيرية معها توقدت أحاسيسه لرؤيتها، لم يطق صبراً. ألحّ عليها هذه المرة وحذّرها بقطع مهاتفاته إن لم تفعل. أخيرا، ً في الساعة الرابعة رضخت لطلبه وضربت له موعداً أمام محطة القطار واصفة هندامها له "سأرتدي بلوزة بيضاء وتنورة سوداء قصيرة وسأضع وشاحاً أحمر حول عنقي.. أوكي؟!".

تأخر قليلاً عن الرابعة حتى يضمن وصولها، في الرابعة وعشر دقائق وصل محطة القطار ومن بعيد لمحها قصيرة وبدينة جداً ترتدي نفس الهندام الذي وصفته كان طرف الوشاح الأحمر يتدلى على صدرها.

اقترب من أمامها ماراً دون أن ينظر إليها موهماً إياها بأنه غير المقصود بالموعد.. رجع ثانية وأمعن النظر في وجهها الذي لم يرق له. وقف على مبعدة منها محدثاً نفسه "يا إلهي ما أقبحها..!!" وصار يروح ويجيء أمامها متلفتاً ناحية قدوم القطار كمسافر قلق أما هي فقد كانت تقف باطمئنان شديد وابتسامة صغيرة تتوارى على وجهها.

جاء القطار بصفارته المتلاحقة المدوية توقف بمحاذاته، صعد وأخذ ينظر إليها من خلال النافذة ماداً لها لسانه عندما أخذ القطار في التحرك.. كانت لم تزل تقف ساكنة مطمئنة تنتظر حبيبها الأثيري.

٣ – تفكيك بنيوي:

قرر الزوج والزوجة الذهاب للطبيب معاً بعد أن أصابهما مرض جلدي غريب.

دخل الزوج أولاً وبعد أن فحصه الطبيب قال له مربتاً على كتفه " لا بأس علاجك أن تبقى في اليوم ساعات معدودة تحت الشمس".

دخلت الزوجة وبعد أن فحصها الطبيب قال لها" لا بأس.. علاجك سيدتي أن تضعي برتقالة معصورة على وجهك كل صباح".

أخذا يطبقان وصفتي الطبيب.

رأت الزوجة بعد الظهر زوجها جالساً شبه عار في فناء البيت واضعاً على أحد أصابعه دودة صغيرة تكاد لا ترى. سألته زوجته: "ماذا وصف لك الطبيب؟"

قال: "أن أجلس تحت الشمس ومعي دودة".

رأى الزوج في صباح يوم تال زوجته تضع على خدّها حبة برتقالة وعلى خدها الآخر صورة فوتوغرافية.

سألها: "ماذا وصف لك الطبيب؟ قالت له: "أن أضع على وجهي برتقالة وصورة".

٤ - شكلانية:

كان من عادته أن يعبث بشاربه الكث وهو

الممتدة من الماء إلى الماء، أطرق كل الأبواب وأدخل عبر كل النوافذ.. أتسلّل عبر شقوق الجدران..! كنت ألوب في حلقات واثقاً من افتضاحي متلبساً برائحة القهوة التي كانت تفوح من حدقتي عيني؛ كان الأمر قد سرى من حاكم القرية بمنع الأهالي من شرب القهوة والتوجه إلى النوم عند المغيب، إلا أن أهل قريتي ظلوا سهارى كل الليالي تلتقط أعينهم أكواب القهوة المترعة من سماء مفتوحة وأطباق موضوعة وصناديق مصفوفة. أما أنا الهابط خفيفاً فكنت لاأزال أتنقل في دروب قريتي الغافية طليقاً أرقب نوافذ البيوت وهي تومض بأصوات الارتعاشات البطيئة؛ رأيته - المفتش الليلي - يزحف في اتجاهي حاملاً عصاه يصيح بي "يا ولد.. أتشمم رائحة القهوة من عينيك.."، فحجبت عيني خلف غلالة رقيقة من ضباب انصب فجأة في تلك السانحة خوفاً من أن يفقأهما بعصاه الغليظة. خطوت سريعا في الاتجاه المعاكس واصطدمت بأكثر من مفتش ليلي، تحميني غلالة الضباب إياها، إلا أنني حزنت عندما أخذت تختفي فجأة أصوات الإرتشافات البطيئة خلف نوافذ البيوت الآمنة وقررت عندها أنا المعجون من الماء والبُن والهال والسكر أن أتطاير في الهواء، أحط كذرات الشمس على أسطح

البيـوت العطشـى وأعـانق سـتائر النوافـذ المسـدلة دون أن تطـالني عصـا المفتـش الليلـي الـذي رأيتـه مقرفصـاً تحـت إحـدى النوافـذ ينصـت مرتجفـاً إلـى أصـوات الإرتشـافات المتلاحقة.

* * *

فاطمـــة
منســـي

(السعودية). تعد لإصدار مجموعتها القصصية.

جراح الوردة

- ١ -

قدم الليل بخطى حثيثة يدندن طرباً، والهاً مثل عاشق متيم، لوعته الأشواق.

دقت الدفوف بعد تصليتها على النار، تهادت الفتيات الصغيرات، والألوان الفاقعة وتدلت المناديل الصفراء، المعقودة على جباههن وصفقن بأكف صغيرة، تصفيقات حارة وحادة كالبراءة في أعينهن العسلية انطلقت

إحداهن، دارت برشاقة على أطراف أصابعها، وكأنها تمشي الأرض فقط، بدت كفراشة جميلة تحلق بالقرب من الأرض.

أخذت تلوح بذراعيها في الهواء تارة، وتصفق تارة أخرى.

تزاحمت النسوة في الحوش الكبير، المفروش بالحصى الصغيرة وانتظمن في صف طويل وغير متناسق.

كن يتزاحمن، وبدت كل واحدة منهن وكأنها تباري الأخريات في الحسن واللباس الغالي، وعدد الأساور والقلائد وتتعمد إثارة غيرتهن، كعادة النساء في كل مكان.

– ٢ –

دوى الرعد في أنحاء السماء وشعشع البرق الخاطف فأضاء الليل وبكت السماء بدموع غزيرة.

تساقطت حبات المطر الباردة فوق صفحة القلب، بردت الجراح الملتهبة قليلاً، سكت النواح، وهمست الأعماق؛ كفى، كفى عذاباً أيها الفؤاد.

تململت وهي تمتلىء بالحنق والحقد.

حاول أن يهدىء مخاوفها ويستنطقها، رحب بها وهنأها. لكنها ظلت جامدة صامتة عابسة.

- ٣ -

"خلاص" حدد والدك الموعد، واتفق مع عمك على كل التفاصيل.

أينا يمضي جريحا، عاري الصدر

مشوقا لمزيد من جراح

ترتوي الوردة منه والصباح

"خلاص" وزي ما أنت عارفة أبوك ما يحب دلع البنات، وهو أدرى بمصلحتك.

ماضية هي، كما يمضي السكين في ثنايا الجرح يستعذب الحر، يولد الألم والعذاب بتصميم وتؤدة.

ما أتعسها في أعز الليالي وأجملها؟!

صليل السيوف، دقات الأرجل الصلبة على الأرض، الرجال يعرضون والنساء يهزجن والفتيات يملأن المكان صخباً وحبوراً.

الغطاريف تدوي في سكون الليل، الكل سعيد وهي التعيسة في الاحتفال بها.

"خلاص" ما في دراسة، البنت ما لها إلا بيتها.

نضت العباءة، شدت المنديل الذي يغطي وجهها فتمزق.

شمخت بأنفها المستقيم، الدقيق التكوين ولوت شفتيها وهي تتفحص أثاث الغرفة والكرسي المعد لنومها، ووسائد كثيرة، محشوة بالقطن وشراشف وفرش.

امتلأت خياشيمها برائحة البخور والريحان والكادي، وتبسمت بسخرية ومرارة.

"تبغين تدرسين ليش؟ وايش راح تكونين بعدين..؟

— ٤ —

جاء ثم وقف عند الباب، بدأ متهللا، ضاحكاً مليئاً بالزهو والسعادة!

حدق في وجهها طويلاً، تاه في تلك العزة المتألقة فوق جبينها.

تبسم في لطف ومودة، ما بك يا بدرية؟

هل أنت خائفة؟

ألست سعيدة بزواجنا؟

لقد انتظرت هذا اليوم طويلاً.

رفعت رأسها في تشامخ، قاومت الغضب الذي يسيطر عليها جمدت نظرتها، وحنا بريق عينيها، طفحت ملامحها بالأسف.

ما بك؟ هيا تحدثي لا تنظري إلي هكذا.

نكست رأسها وقالت بنبرة خافتة: أنت تقول بأنك سعيد بهذا الزواج، أما أنا.... أنا تعيسة ويؤسفني أن أقول ذلك.

دهش من جرأتها وصراحتها، ثم سألها: لماذا؟

حسناً لقد ساقوني إليك مثل بهيمة، بدون رأي أو اهتمام بمشاعري لأنك،...

لأنني ماذا... أكملي.

لأنك ابن عمي، ومن ثم فأنت أفضل الرجال.

هددني والدي، وحرمني من إتمام دراستي وفرض عليّ الزواج منك.

صدقيني، إذا قلت إنني لم أكن أعرف.

وما جدوى أن تعرف...؟!

لست مثل عمي، ولا أقبل طريقته في معالجة الأمور.

حسناً، أعدك بأنك ستكونين في غاية السعادة معي.

ضحكت قائلة: لا تورط نفسك، فالوعود ليست سهلة، وعندما لا تفي بها ستسقط من نظري.

والآن... هل يمكن أن تتركني وحدي قليلاً.؟

* * *

حسن حجاب الحازمي

من مواليد ١٩٦٥ (السعودية). أصدر مجموعة ذاكرة الدقائق الأخيرة (١٩٩٢).

من حقيبة سفر

السؤال:

كل شيء في هذه المدينة يعلمك الصبر.. شوارعها المزدحمة حتى الاختناق، ثرثرة السائقين في كل شيء ، محاولات النصب التي لا تتوقف، ادعاء الذكاء المتكرر، استغفالك حدّ البلاهة، سيقان بناتها العارية، وصدورهن الرجراجة، وقمصانهن المفتوحة حتى مفرق النهدين.

- سياحة أم علاج؟

انسلّ السؤال كخنجر في قلب أفكاري لكني تركته معلقاً في الفراغ الذي يفصلني عن سائق "التاكسي" وتشاغلت باستقراء ملامح المدينة المتعبة.

أسبوع كامل وأنا محاصر بهذا السؤال.

في المرة الأولى أجبت بطيبة قلب "سياحة" ففوجئت بالسائق قد انحرف قليلاً عن الطريق، ثم توقف، والتفت إلي بوجه أكثر بشاشة ورحب بي ألف مرة، وقال أشياء كثيرة عن السفر وتغيير الجو، والتجارب الجديدة، والنساء الجميلات، وعرض علي مكاناً جميلاً فيه كل المتع، وابتسم ابتسامة ماكرة..

لم أجد ما أجيب به، ففتحت الباب وخلفته ورائي يبلع دهشته، وأشرت إلى أول سيارة أجرة لأفاجأ بالسؤال ينوشني من جديد قبل أن أستقر في المقعد وأسترد أنفاسي اللاهثة: "سياحة أم علاج".

قلت بلا تردد: علاج.

لم يسألني عن المرض، ولا عن المكان الذي أريد، بل مضى يشق الطرقات وأنا أرقبه بصمت، وجيوش الدهشة والعجب تتمشى داخلي حتى توقف بي في

حارة قديمة وضيقة، وترجل من سيارته، وطلب مني أن أترجل أنا أيضاً، ومضى أمامي في الطريق المترب.

قلت: إلى أين؟

أشار إلى بيت في نهاية الزقاق قائلاً:

- إلى بيت الحاجة (عيشة) إنسانة... تعالج كل شيء، و...

بماذا أجيب عليه؟

هل أصدق أن الحاجة (زفتة) تعالج كل شيء وأمضي معه؟!

هل أطلب منه بحزم أن يعيدني إلى مكاني الذي أخذني منه؟

ثم قررت أن أمضي إلى الشارع الرئيسي غير عابيء بنداءاته المتلاحقة، وتوسلاته المخجلة.

أما في المرة الثالثة فقد أجبت بمكر: دراسة، جئت إلى هنا للدراسة. وضغطت على كلماتي بقوة مؤكداً لنفسي أنني نجوت هذه المرة، لكنني فوجئت بالسائق يتوقف ليسألني بصوت خفيف: ماجستير أم دكتوراه؟

قلت بتعلثم: ماجستير، نعم ماجستير.

قال: (حظك من السما) فأنا أعرف من يكتب لك البحث في ستة أشهر.

لم أسأله من؟ ولا بكم؟ ولا كم يريد ثمناً لهذه الخدمة الجليلة؟ ولا أدري هل قرأ الاحتقار الذي عبأت به نظراتي وأنا أغادر سيارته غير عابىء بنداءاته المتكررة وتوسلاته المخجلة؟!

- سياحة.أم علاج؟

كنا قد بلغنا ميدان نصف البلد حين عاد السائق ليسألني السؤال الذي لم أعد أجيب عليه، فتشاغلت عنه بمراقبة الميدان...

كل شيء في هذا الميدان يعلمك الصبر: صخب الحافلات، طوفان البشر، غبار الشتائم، هدير الأبواق، صهيل الحزن، همهمة التوسلات التي تنهال عليك من كل النوافذ، وجع الصمت الذي لا تجد غيره وسيلة للإجابة، وحصار الحر الخانق في هذه السيارة الخانقة، في هذا الشارع المختنق.

- لو سمحت أريد أن أنزل هنا.

- لكن البنك الذي تريده مازال بعيداً.

- أشعر بالاختناق، وأريد أن أكمل مشواري مشياً.

نقدته - كما سجل العداد - وأنا أعلم أنه سيقذفني بشتائم عديدة؛ لأنني لم يرق قلبي لحكاياته الكثيرة عن أم عياله المريضة، وعن ابنته التي سقطت من الشرفة وأصابها ارتجاج في المخ، وعن طفله الذي كسر ساقه في حادث، وعن أشياء أخرى كثيرة، تحتاج إلى مصاريف أكثر...

وقبل أن أنزل تماماً سمعته يقول:

- لم تجب على سؤالي: سياحة أم علاج؟

قلت له وأنا أقفز إلى الرصيف، وألتفت إليه نصف التفاتة:

- جئت إلى هنا لأتعلم الصبر والصمت وأشياء أخرى.

الخادم:

- ١ -

من بعث إليّ بهذه الوردة؟

في الأيام الثلاثة الأولى كانت تخدمني عجوز لا تغري حتى على الحديث واليوم تبدو الشقة أكثر جمالاً

ونضارة، وهذه الوردة تحفر في قلبي نفقاً لا أدري كيف أرتقه؟!

قلت في نفسي لعله كمين، وقلت في نفسي لا أستطيع البقاء لوحدي مع هذا الجمال الباذخ، وقلت وأكدت لابد أن أخرج.

- ٢ -

- ما اسمك؟

- صفاء.

- هل أنت خادمة فعلاً؟

- لماذا؟

- شكلك لا يدل على ذلك.

- كيف؟ لم أفهم.

- يعني.. أنت صغيرة.. وجميلة.. وأنيقة و....

- سأريحك حتى لا تفهم خطأ، أنا طالبة في كلية الآداب، والعجوز التي كانت تخدمك أمي، وهي لا تسمح لي بالخدمة مطلقاً، لكنها اليوم مريضة، فطلبت مني المجيء لخدمتك وهي مطمئنة لما عرفته عنك من خلق خلال الأيام الثلاثة الماضية هل فهمت الآن؟

نعم فهمت.. فهمت، ولم أفهم لماذا غاضت في نفسي رغبة الخروج؟ ولماذا ألغيت كل برامجي وخططي المعدة؟ ولماذا قلت لها:

- ما رأيك لو تركت الطبيخ جانباً، وجلسنا نتحدث قليلاً.

- في ماذا نتحدث؟

- في الأدب، ألست في كلية الآداب؟ أنا أيضاً أحب الأدب وقارىء خطير للروايات.

قالت ضاحكة:

- وأنا كذلك يا أستاذ، ولكن اعذرني فأنا لم أجيء للحديث، وإنما جئت لعمل سأنجزه سريعاً وأعود.

- ٣ -

ألغيت فكرة الخروج تماماً، وقلت في نفسي ليكن هذا اليوم للراحة والقراءة، ولكنه لم يكن.. وكان أن سرت داخل شقتي أكثر من عشرة كيلومترات!

أربع ساعات وأنا أروح وأجيء بين الصالة والمطبخ، أحاصرها بأحاديث مختلفة، وأسئلة مكررة؛

وهي خائفة ومربكة، أسمع ركض قلبها، وتتابع أنفاسها، ولا أرحمها.

شيء ما كان يركض داخلي، لم أكن أنا، كنت شخصاً آخر لا يفكر في شيء إلا الوصول إليها، ولما سكنني الشيطان تماماً فرت من بين يدي، وأقفلت على نفسها باباً لم تفتحه حتى غادرت الشقة تماماً.

- ٤ -

في تمام الخامسة عصراً انصفق الباب، وفقدت الشقة عبيرها، وكانت على طاولة المطبخ رسالة تقول فيها صفاء:

(بأي ريشة ماكرة استطعت أن ترسم لنفسك في ذهن أمي تلك الصورة الرائعة التي جعلتها تبعثني لخدمتك نيابة عنها وهي مطمئنة. لكني لم أكن أتوقع أنك تجيد التمثيل إلى هذا الحد، فاعذرني يا سيدي إذ انتهرتك كما ينتهر الأطفال، فقد كنت أدافع عن نفسي التي حاولت أن تقودها إلى طريق لا أحب السير فيه. ولو كنت أريده لما وقفت بين البصل والثوم من أول النهار مقابل مبلغ زهيد تنقدنيه في آخر النهار، وأنت تعرف كم يقبض أولئك الذين

اختاروا الطريق السهل. لقد توهمت للحظة أنك مختلف عن كل أولئك الذين يأتون، وهذا ما قالته أمي وما قلته أنا في نفسي بعد الإطلالة الأولى على شتقك، لكنك بسرعة مذهلة حطمت البرواز الجميل، ومزقت الصورة الرائعة، فاعذرني يا سيدي إذ لم أقبل كل محاولات التبرير والاعتذار، ولا تتوقع عودتي ثانية، فقد كنت أعدك بذلك فقط لتطمئن ولكي أخرج بسلام).

- ٥ -

كحزن اليتيم كان حزني.. كندم من أفطر في نهار رمضان وكان بإمكانه أن يواصل كان ندمي... ككره القاتل لنفسه كان كرهي لنفسي، تناولت القلم بكف راعش وكتبت تحت كلماتها:

إنها الخلوة يا صفاء، والعطش الكامن، وجمالك الباذخ، وشيطان تلبسني حتى أنكرت نفسي، وأنا لست ملاكاً يا صفاء فهل يسعني العذر؟

- ٦ -

في اليوم التالي رأيتها... اقتربت مني ومسحت

جبيني بكفها، وأيقظتني برفق لم ألمسه في حياتي العطشى قط، فاندفعت بكل ظمئي إلى صدرها، لكنني اصطدمت بالجدار المجاور لسريري، وحين استويت جالساً لم أجد حولي سوى وحشة الغرفة الموصدة، ورائحة حلم جميل عبر كغيمة استنشقتها إلى آخر مدى، وعدت أحاول النوم من جديد فتناهى إلى سمعي صوت الماء، وقرقعة الصحون قادمة من المطبخ، فقلت لنفسي لعلها هي؛ وقلت أنتظر حتى تجيء بنفسها، وقلت بل أطير إليها...

لكني لم أستطع أن أنظر في عيني أمها الدامعتين، ولم أستطع أن أداري خجلي وأغفر لنفسي وهي تعتذر عن عدم قدرتها على المجيء بالأمس، وتعتذر عن تأخرها في إعداد الإفطار، وتعتذر عن خطواتها المتثاقلة، وتعتذر لأنها نسيت أن تكوي قميصي المغسول، ولكنها ستكويه في الحال، وتعتذر.. وتعتذر...

- ٧ -

تركت لأم صفاء على الطاولة ضعف المبلغ الذي تستحقه ومعه ظرف مغلق وبه رسالة صفاء، وأسطري التي ذيلتها بها، وكتبت عليه من الخارج: يسلم بيد الآنسة صفاء؛ وأوصيتها بأخذه قبل أن أخرج.

وحين عدت ، وجدت الظرف كما هو لم يمس، وإلى جواره نصف المبلغ الذي تركته ومفتاح الشقة.

- ٨ -

في اليوم التالي لم تأت صفاء، ولا أم صفاء، وألفيت على باب الشقة خادمة أخرى بعث بها البواب، وأقفلت الباب دونها وخرجت.

البواب:

كأنه مكلف بي، كلما نزلت أو صعدت وجدته أمامي، ينثر بين يدي تراحيب كاذبة، وصوراً شاهت ملامحها، وبهتت نظارتها، وطبعت عليها الأصابع ندوباً لا تبرى وأنا معتصم بالصمت، أسير متعثراً في كلماته المكررة التي ينثرها أمامي وخلفي وكلما ابتعدت مسرعاً سمعت وقع خطواتها على السلالم تتبعني حتى أغيب.

هذا الصباح بدا الوضع مختلفاً، لم تتقاطر خلفي كلماته العذبة الكاذبة، لم يملأ وجهه بابتسامته المزورة، لم يعرض علي شيئاً من صوره الباهتة، لم يقم حتى من مكانه فابتدرته قائلاً: ماذا جرى في الدنيا يا رجب؛ هل

قامت حرب عالمية ثالثة أم أنك يئست مني؟ لم يبتسم لي ولم يرد علي، وحينما ابتعدت قليلاً ونشوة النصر تملؤني، سمعته يقول: (على فكرة يا أستاذ صاحب الشقة طالب بزيارة الإيجار) لم أبتسم له ولم أرد عليه، فقط دخلت إلى شقتي وحملت حقيبتي وخرجت.

لم أكن قد حددت وجهتي، لكنني بمجرد أن وقفت في الشارع توقف أمامي سائق أجرة، ثم نزل بسرعة، وانتزع حقيبتي من يدي ووضعها في المقعد الخلفي، وفتح لي الباب الأمامي فركبت، ثم استدار وركب، وأدار عربته وانطلق، لم يسألني إلى أين؟ ولم يسألني السؤال الذي لم أعد أجيب عليه، ولم يتوقف إلا أمام المطار.

تحسست التذكرة وجواز سفري فوجدتهما في جيبي، ففتحت الباب ونزلت، فنزل هو وأخرج حقيبتي ثم ناولني، ومد يده لأخذ الأجرة؛ فأعطيته، ووقفت أنتظر الباقي؟

استدار وركب عربته وانطلق لم يكلمني، لم يسألني السؤال الذي لا أجيب عليه، ولم يرد الباقي.

* * *

محمد عبدالله الغامدي

(السعودية). يعد لإصدار مجموعته القصصية.

قصص قصيرة جدا

سمكة

ترك ثوبه جانباً.. لم يكن بحراً.. كانت هناك سمكة شقراء مطعمة باللون الأحمر.. كان يرقبها وسط أعشاب مرجانية. حاول اصطيادها.. تعب وهو يطاردها.. جرفه الموج إلى أن غرق.. لم يكن بحراً كان ظهراً وقتها.

لغز

كان الشموخ يسير أمامها.. استقطبها شارع خلفي

داكن.. ضمها إلى صدره.. ارتخى الصدر.. ارتفع.. ارتخى.. ارتفع.. كان يسير مع النَّفس.. الشارع تهاوى بين يديها عندما علم أنها ممن يخوضون في السياسة.

سيجارة

باع سيجارته لعابر سبيل، ونفث كل نفَسِه على زبون كان يرغب في دين.. استلهم الزبون فكرة.. فأرسل إلى البائع بهذه الـ (فكرة).. فعاد البائع للتدخين عند منتصف الليل فالـ (فكرة) أباحت له كل شيء.

دولاب

كتمت أنفاسي، كنت أتصور أنني داخل دولاب مليء بالملابس النسائية، شممت رائحة عطرها في تلك اللحظة التي يحكي صديقي قصتها. الباب كنت أتصوره مغلقاً عندما فوجئت بها تصرخ. صديقي كان يحكي لي تاريخ شجرة أينعت في كل البيوت. ولكن.. أين أهرب؟ إنه موقف مميت. إن صديقي هذا يجيد حبك القصص وإلا كيف تثمر المنازل جميعها وهي خارجة من دولاب ملابس!!

* * *

مصطفى
عبدالله
عبدالجواد

من مواليد جدة (١٩٦٠)، أصدر مجموعة أيام العزلة.. وقصص أخرى (١٩٩٨).

الرحيل

كان لابد أن يتم في مساء اليوم التالي حفل توديع المحالين على المعاش، وكان على "عبدالستار" أن يحضر ليس لأنه ممن سيحتفل بهم فحسب، ولكن لأنه وعد زملاءه بعدما أقنعوه بالحضور.. وبعدما تيقن أن الشهادة التي سوف يحصل عليها هي تأشيرة الدخول لمنفى الشيخوخة التي سوف يقيم فيها.

كان حفل التكريم في مخيلة "عبدالستار" وبعض من حضروا، حفل توديع وإسدال الستار على المسرحية التي قام ببطولتها وأدوارها من أعدوا لهم المقاعد في بداية الصفوف.. وأحاطوهم بهالات التصفيق وهمسات التأثر..

وكان على "عبدالستار" أن يتخفى داخل بدلته الأنيقة.. لأنه كان أبرزهم منصباً وأشد من فيهم حزماً وشدة في عمله.. وكانت إدارته أكثر الإدارات انضباطا. فكان هناك الكثير ممن سعدوا بإحالته للتخلص من قيوده وجبروته وحزمه في عمله.

انتهى الحفل وراح "عبدالستار" يبحث لخطواته عن طريق بعدما وزع ابتسامات المجاملة هنا وهناك، حتى سئم مرارتها.. وما أن وضع قدمه على بداية الطريق حتى شعر أنه يحتضن الوحدة خلف أصدقاء الأمس الذين سلكوا درباً غير دربه.

تيقن "عبدالستار" أن الزمن توقف عن العطاء، وأن النشاط الذي كان يمرح في أعضائه بدأ يسلب منه.. وأن حاجة الناس إليه.. وولعهم به وإحاطتهم به انتزعت منه، بعد حصوله على تلك الشهادة التي استقرت في جيب بدلته الأنيقة، لم تر الدروب خطوات "عبدالستار" بضعة أشهر، ولم تسمع الأشجار الواقفة على الطريق وقع أقدامه الذي تعودت عليه منذ عهد بعيد.

كان "عبدالستار" في موسم بياته الشتوي قد ازداد هماً وفاض خوفاً وأسرف عقله في التفكير فيما تبقى، وكيف سيتأقلم. ويحيا بين خيوطه التي تعنكبت في مسار حياته.

تساؤلات كثيرة اشتعلت بها خلايا عقله.. حتى إذا أطفأ لظاها وجدها حبلى بعشرات من علامات الاستفهام.

لم ينس اليوم الذي راح يجمع فيه حصاد عمره ومحتويات مكتبه الخاص، ثلاثون عاماً مضت على وجوده في إدارته وبين أحضان غرفته التي امتزجت به، وصارت جزءاً منه، لا يستطيع الاستغناء عنه.. أو بتر مساحاتها من حدود كيانه، أو تجاهل أنفاسه وآماله التي استلقت على جدرانها عاماً وراء عام.. فيضان عارم يأمل أن يسبح فيه وينجو، زلزال سحق أعماق أعماقه وتركه يتخبط داخل جدران الغرفة، يلثم أركانها وشرفاتها ومقعده. شعر كأنهم انتزعوا وليده منه فخارت قواه.

لم يشعر "عبدالستار" ببصيص من الراحة إلا بعد مضي وقت على سقوطه بين جدران مكتبه، فبرزت الشيخوخة من ملامحه... بدت رأسه كزبد على رأس موج، يحاول الوصول إلى الشاطىء وظهر في سريره كشجرة ذابلة أوراقها، يابسة أغصانها، أضناها المسير إلى أعلى.

راحت أقدام "عبدالستار" يعتصرها جلد حذائه ليصل إلى صديقه القديم فقد قرر أخيراً بعدما ران عليه التعب وشمله الخوف أن لا يستسلم، ويدق على وجه الطريق بوقع أقدامه. ولكن قد تغير الحال وأضناه المسير.

كان أحمد كثيراً ما يلح على "عبدالستار" كي يزوره فيستقبله. وكان "عبدالستار" كثيرا ما يقف ضد رغبة أحمد

تلك، ليس استهانة به ولا تكبراً على من كان تحت إدارته منذ ست سنوات قبل التحاقه بالمعاش، ولكن كانت مشاغل "عبدالستار" دائماً ما تحول دون ذلك. وأخيراً رأى أن يلبي دعوته، عله يجد عنده سلواه، فأحمد قديم عهد فيما يحياه الآن "عبدالستار". وقد طوى صفحات ست سنوات في مدينة شيخوخته ولكنه كان قد أعد للرحيل زاده.. ولذلك تأقلم بسرعة على ما تمخض عنه الزمن، فطوى الأيام تحت ذراعيه، ووجهها لما قد رسمه لها؛ وبذلك حصد أنياب الفراغ الذي حل عليه قبل أن يحصره.. وألح كثيراً في الطرق على أبواب فتحت أخيراً له. فانشغل بأعمال لا حصر لها، كانت فيها سلواه. وأعادت إليه إحساسه بذاته وفعاليته من الزمن الذي يتجنبه الكثير دونما فائدة، حتى أن بيته في الآونة الأخيرة صار ملتقى لأصدقاء الماضي. يتداولون فيه الحديث عن الذكريات القديمة. يرسمون طريقهم للأيام المقبلة، فأمسى يجمع مجلسهم الكثير ممن أحيلوا للمعاش وأجبروا على الرحيل. أمسى يجمع صفوة الخبرة من إدارات كثيرة جذبت نحوهم الكثير ممن احتلوا أماكنهم للتزود من خبرتهم.. وحل ما يصادفهم في أعمالهم من مشاكل تنقصهم الخبرة في حلها.

وبذلك لاذ عبدالستار بضالته. وشعر بوجوده من جديد. وبعد مرور عام على إحالة "عبدالستار" للمعاش، عاد

إلى بيته في غير موعد عودته، وأحضر الشهادة التي كان قد استلمها في يوم إحالته وكتب عليها.

عندما بدأ الغروب يلوح بأفقي، أيقنت أنه لا حيلة لي غير الرضوخ لسحب الزمن الملبدة بالغيوم.. والاستقرار في كنف السنوات العجاف، وأن أقبض في لمساتها الدفء.

* * *

عـــــادل
محمـــــد
عطـــــا
إليـــاس

من مواليد ١٩٤٢ (السعودية). يعد لإصدار مجموعته القصصية.

لحظة غضب

- عندي لك خبر عظيم أستحق عليه هدية نفيسة.
- ...
- مالك ساهم هكذا لا ترد يا سعيد - ألا تسمع؟ أقول إن عندي لك خبراً عظيماً.
- لقد سمعتك بكل وضوح.
- إذن ألا تريد أن تعرف ما هو هذا الخبر؟
- آسف فقد كنت أفكر في أشياء كثيرة... أفكر فيها كلّها في وقت واحد. ما هو هذا الخبر السعيد الذي تريدين أن تزفيه إليّ؟

- فعلاً، إنه خبر سعيد وسوف يجعلك تقيم الدنيا وتقعدها من الفرح.
- تكلمي بسرعة أرجوك فقد جعلتني أتشوق فعلاً لسماع هذا الخبر العظيم.
- فعلاً إنه خبر عظيم وسوف...

مقاطعاً بلطف ،

- سلوى... أرجوك ألا تلعبي بأعصابي ومشاعري تكلمي بسرعة فلم أعد أطيق صبراً... هيا تكلمي من فضلك.
- حسناً. إنك سوف تصبح أباً عما قريب.

تمر لحظة صمت يصاب خلالها سعيد بذهول ويسرح بأفكاره في أماكن شتى.. يا إلهي ما هذا الذي يسمعه.. (تقطع عليه سلوى حبل أفكاره..)

- ماذا هل سرحت بفكرك بعيداً مرة أخرى أم أن الخبر لا يهمك؟
- ماذا تقولين، هل سأصبح أباً؟ أنا سأصبح أباً؟ هل أنت مريضة أم أنها لعبة جديدة تجربينها عليّ لتتلاعبي بأعصابي؟
- أقول وبكل بساطة وبكل وضوح: إنني حامل في شهري الثاني وأنك ستصبح أباً عما قريب. ما الغرابة في ذلك؟

ألم تكن هذه أمنيتك وشغلك الشاغل؟ ألم يفرحك الخبر؟ أم أنك تتظاهر بالدهشة واللامبالاة.. حتى لا أطالبك بمكافأتي وبالهدية النفيسة؟

- الأمر بكل بساطة يا سلوى هو أنني لا أصدق ما أسمع. أنت تعلمين تمام العلم أنه من المستحيل أن نرزق بأي ذرية. هذا ما قاله جميع الأطباء هنا وفي الخارج؛ وهذا ما يقوله المنطق.

- ما هذا يا رجل هل فقدت إيمانك بالله عز وجل؟ أي منطق وأي أطباء هؤلاء الذين تتكلم عنهم؟ إنها قدرة الله إنها المعجزة الإلهية..

- ولكن كيف؟ كل التحاليل والنتائج الطبية...

- (تقاطعه بغضب)؛ هل تستطيع التحاليل والنتائج الطبية أن تقف أمام قدرة الله عز وجل؟! لقد أراد الله أن يمن علينا بالذرية من عنده؛ وأرجوك ألا تسألني كيف؛ لأنني لست بأعرف منك.! كل ما أعرفه هو أنني أحسست بآلام ودوار وبعض العوارض الأخرى؛ فقمت بزيارة الدكتور حسين الذي بشرني بهذه البشرى العظيمة؛ بعد أن أصيب هو الآخر بذهول شديد مثلك تماماً، بل وأكثر قليلاً... والآن ماذا تقول؟ هل تريد أن نزور الطبيب معاً ليؤكد لك هو بنفسه صحة ما قلت؟

- جلت قدرتك يارب السموات والأرض.. سبحانك يا صانع المعجزات.. ما أكرمك... إنني الآن فعلاً أسعد مخلوق على وجه البسيطة.

- حقاً؟ والآن ماذا قررت أن تهديني مقابل هذا الخبر العظيم؟

- كل ما تطلبين يا عزيزتي.. كل ما تطلبين فهذا الخبر قد غير كل شيء في حياتي... إنك زوجة عظيمة حقاً.. يا الله أبعد هذا الصبر الطويل؟ عشرة أعوام؟ أبعد كل هذه السنين أصبح أباً؟ أنا أب؟ ما أجمل هذا الشعور وما أجمل هذه الكلمة؟ اطلبي ما تشائين وأنا رهن إشارتك.

- في الحقيقة أنا لا أريد أي شيء؛ وكل ما أريده هو إسعادك وإضفاء روح الغبطة والحبور عليك.

- ألم أقل لك بأنك زوجة عظيمة؟ بارك الله فيك وأنا من ناحيتي أكن لك حبا واحتراماً وأكرس حياتي كلها لإسعادك.

- دعك الآن من كل ذلك؛ وقل لي ماذا تريد أن تسميها؟

- أسميها؟

- نعم ماذا تريد أن تسمي ابنتك؟ في الحقيقة أنا عندي مجموعة هائلة وجميلة من الأسماء؛ ولكن دعني أعرف

ماذا تحب أن تسميها أولاً ثم أسرد عليك؟ أنا كل ما عندي من الأسماء الجميلة التي ظلت تشغل خاطري منذ أمد بعيد.

- أنت الآن تجزمين بأنها بنت!

- ماذا تريد أن تسميها؟

- تقصدين ماذا أريد أن أسميه.

- لا إنني أعني ما أقول. ماذا تريد أن تسميها؟ هيا أرجوك تكلم.

- كل ما أرجوه من الله الذي من علينا بالذرية أن يتمم نعمته ويرزقنا بغلام جميل نسميه محمداً.. تيمناً وعرفاناً..

- ولماذا لا يكون المولود طفلة جميلة تملأ علينا البيت فرحاً وسعادة؛ ونستطيع أن نسميها - عبيراً، أو وردة أو نهى أو.....

- حسناً عزيزتي دعينا ننسى كل شيء. والآن ماذا أعددت لنا على الغداء؟

- كل ما تشتهيه نفسك يا عزيزي.. قم الآن وأبدل ملابسك بينما أعد المائدة.

تقدم إلى مائدة الطعام بكل تؤدة... جلس إلى

المائدة في صمت... صمت رهيب تشوبه مسحة عميقة من الحزن. وأطرق ساهماً.. هل فعلاً جاءت اللحظة الرهيبة التي يجب أن يخبرها بكل شيء.. ولكن لا سيؤجل ذلك إلى وقت آخر...

وجلست بجانبه في هدوء وبدأ في تناول الطعام في جو رهيب يشوبه الصمت؛ فقد كان الخبر مباغتا له ولم يدع له فرصة للتفكير.. نعم يجب أن يستوثق أولاً وأن يتصرف بحكمة قبل مفاتحتها في أي شيء.

في اليوم التالي يعود لزوجته وهو محطم الأعصاب، يستجمع قواه ويجمع شتات فكره قبل أن يقول:

- سلوى أرجو أن تستمعي إليّ بكل هدوء.. يجب أن أفاتحك في الموضوع الذي ظل يشغل فكري طويلاً؛ وكنت فقط أنتظر اللحظة المناسبة حتى أطلعك عليه وها قد حانت اللحظة المناسبة...

- لا أدري عم تتكلم!؟

- عندما أخبرتيني بأنني سأصبح أباً لم أتمالك نفسي من الفرح، فقد كنت أفكر بعاطفتي فقط، كان قلبي هو الذي يستمع إليك.. فقدت العقل والمنطق فهذا الأمر كما أخبرتك وكما تعلمين هو غاية مطلبي وحلمي الدائم..

إلا أن الخبر في الوقت ذاته حطمني من الحزن والألم بعد أن أفقت من هول المفاجأة... إنني أتعذب وأعيش في دوامة رهيبة... هناك أمر يجب أن أستوثق منه يا سلوى وأرجو أن تصدقيني القول..

- تكلم إذن يا سعيد، ولا تكن قاسياً علي هكذا..

(تبدو فجأة عصبية.. يبدو الخوف على محياها.. يبدو القلق في نظراتها... تسائل نفسها بشيء من الخوف... ترى هل علم بالأمر؟ ترى هل انكشف له السر الدفين؟ يا إلهي ساعدني.. كن معي فأنت أعلم بسري وأدرى بحالي.. يقطع عليها حبل أفكارها فجأة متسائلاً):

- ماذا؟ ما بك؟

- من؟ أنا؟ لا شيء... لا شيء يا حبيبي...

- يبدو عليك القلق والخوف..

- (بعصبية) قلت لك لا شيء.. يقلقني أو يخيفني.. صدقني.

- لا بأس.. كنت أقول إن إنجاب طفل يحمي اسمي أصبح شغلي الشاغل ومصدر قلق دائم لي خصوصاً حين أكد الأطباء استحالة حدوث حمل! إنني لا أصدق ما تقولين!

(يصفر لونها.. تفقد زمام شجاعتها.. خوفاً من أن يخطيء فهمها.. تحاول النطق إلا أنها تفقد القدرة على

الكلام لوهلة وتنهار باكية. أما هو فيجن جنونه لحالتها هذه.. يخطو إليها.. يقبض على منكبيها ويهزها هزاً عنيفا وهو يصرخ بكل قواه...)

- ما بك؟ - أخبريني أرجوك.! لماذا تبكين ولماذا أنت خائفة هكذا؟
- أرجوك تمالك أعصابك قليلاً ودعني أشرح لك كل شيء بالتفصيل ولك الحق بعدها في أن تفعل ما بدا لك. إنه ابنك. ألم تقرأ عن طفل الأنابيب في الصحف؟
- أي طفل وأي أنابيب هذه التي تتكلمين عنها؟ إنك ولا شك تهاترين لتتهربي من خيانتك.. إنك...
- أرجوك ألا تنعتني بهذه الصفة البغيضة، فأنا لم أخنك ولا أستحق منك كل ذلك.. نعم إن طفل الأنابيب حقيقة علمية وقد أجاز الشرع الإنجاب بهذه الطريقة طالما أن الشريك الآخر هو الزوج وهذا ما حصل فعلاً.. ألا تذكر يوم أخذ منك الدكتور بعض العينات لفحصها ولكي يتأكد ويقرر بعدها إذا ما كنت قادراً على الإنجاب أم لا؟ لقد وجد فعلاً أنها صالحة وبعد الكشف علي وجد إنني سليمة أيضا إلا أن العيب كان في الرحم.. لذا فقد استعمل عملية الأنبوب والتي أخضعني لها لفترة طويلة حتى آتت ثمارها... وتلتقط أنفاسها لبرهة قبل أن تكمل...

... صدقني إنه ابنك وتستطيع أن تتأكد من ذلك بنفسك قم فاتصل بالدكتور وهو بدوره سوف يطلعك على كل شيء وبطريقة علمية...!

- لا أصدق حرفا مما تقولين ولا أؤمن بطفل الأنابيب هذا.. كل ما أؤمن به هو أنك خائنة.. نعم أنت خائنة.. خائنة.. خائنة..

(يترك مجلسه في عصبية جنونية، يتجه نحوها والشرر يتطاير من عينيه.. تتقهقر هي قليلاً إلى الوراء في محاولة يائسة لتجنبه.. يمسك بعنقها بشدة ويضغط عليه بقوة وهي تئن تحت وطأة الألم المبرح.. وتحت وطأة هذا الضغط الهائل على رقبتها تحاول جاهدة أن تفكر للحظات خاطفة.. رباه إنه يخيفني، لم أعد أستطع التحمل أكثر من ذلك.. هل سأموت؟ هل يقتلني هذا الجاحد الذي فعلت ما فعلت لإسعاده.. خفف من ضغطك على رقبتي يا رجل إنك تزهق روحي، أعطني الفرصة لأدافع عن نفسي لأثبت لك حبي وتضحيتي من أجلك.. أيها الجاحد..! يا إلهي هل أخطأت؟ سامحني يارب.. اغفر لي يارب...

تخور قواها شيئاً فشيئاً وهي تئن تحت ضغط الألم المبرح وهو يزداد بأصابعه القوية ضغطاً على رقبتها.. يزرق لونها وتتسع حدقتا عينيها ويرتسم الرعب فيهما...

تحاول أن تقاوم لفترة بكل ما لديها من قوة باقية إلا أنها تستسلم أخيراً لليدين القويتين المطبقتين على عنقها ويزداد هو ضغطاً على ذلك العنق الضعيف إلى أن تسقط جثة هامدة.. تفارق الحياة وهو مازال ممسكاً بعنقها بقوة هائلة، يتصبب العرق على جبينه.. يترك عنقها فجأة وهو يشعر بشعور قوي يتملكه شعور يطلب منه الصراخ أو البكاء؛ وتأبى رجولته عليه ذلك لفترة.. لم يعد يحتمل، كل عرق في جسمه يصرخ، يئن، يتلوى من ألم الفضيحة. وفجأة يجهش ببكاء حاد.. يفيق للحظة ويشعل سيجارة يجتر منها نفساً عميقاً ثم يلقيها ويشعل غيرها ويجتر منها نفسا ثم يطفئها مثل سابقتها... يتجه إلى جهاز التليفون ويدير القرص على رقم معين:

- آلو.. آلو.. بوليس النجدة؟ أنا سعيد محمود وأريد أن أبلغ عن جريمة قتل..

تسقط السماعة من يده ويسرح بفكره في عالم آخر والألم يعتصره عصراً.. يغمض عينيه ويروح في سبات عميق يحلم بابن يحمل اسمه..

* * *

البراق الحازمي

(السعودية). يعد لإصدار مجموعته القصصية.

وجوه رجال هاربين

دائماً يجلسون في ذات المكان، مع الزمان ليلة بعد ليلة، وجوه تشبه الأصدقاء، المجلس من فضة.. يكتسي حلة خضراء.. تعطي المساء شيئاً مميزاً من اللون والمعنى، مصباح في سقف الغرفة لضوئه انعكاس في الزوايا، جمرة تأتلق في رأس نارجيلة، دخان يخرج من الأجساد، نسائم الربيع اللذيذة تمسح الوجوه... ينتشؤون كأنهم بين النجوم، ضوء قمر غيرُ مكتمل يتسلل عبر شقوق نافذة خشبية إلى بعض الأعين، ها هو غريب يصل بعد غياب، يتكىء بذراعه الأيمن على جانب الباب

المفتوح ويمد ذراعه الآخر ممسكاً نصف الباب المغلق، يبتسم، يقول بصوت فيه شجن: مساء الخير، ثم يحيي بعينيه الضاحكتين التفاتة الجالسين نحوه.

- يرد أقربهم من الباب: مساء الورد.

- آخر كان مشغولاً بتجهيز الشيشة: ياهوه.. وجهك ولا القمر!

- ثالث يوسع في مجلسه، تعال عندي وسع... هنا هنا أنا أبغاك.. لا لا، هنا علشان يوصلك الحبل، الليلة شيشة على كيفك، يتردد غريب لكنه يختار مجلسه كالعادة.. أحدهم ينظر إليه بعينين ماكرتين ثم يقول بصوت مسرح: اجلس حيث شئت فسيأتينا خراجك. يقهقه البعض ويبتسم غريب والآخرون.

يدور حوار خافت بين غريب والجالس إلى جواره، يضحك غريب هذه المرة بصوت عال، يعيد ترتيب متكئه، يضع عقاله وغترته جانباً ثم يقول ببشاشة مصطنعة: الجلسة شكلها حلو الليلة!

- بوجودك يابو علي.. إنما فين الخشبة؟!

- موجودة.. في السيارة (يدس غريب يده في جيبه ويخرج علبة السجائر) خلونا نروق شوية ونسمع أخباركم وبعدين، يشعل سيجارة وينفخ باتجاه المصباح.

غريب شاب أسمر أنيق، وسيم، عيناه ضاحكتان، ليس ذكياً لكنه طيب، يأسرك دائما بابتسامته وروحه الخفيفتين، كثيراً ما تشعر في حديثه بأن قلبه يدمي، حينا يطلعك على جرحه وحيناً يصطنع جروحاً ليطلعك عليها، كأنما هو يطارد خياله.

يحضر أحدهم آلة العود، يناولها لغريب الذي يبدأ بمداعبتها وتنهمر الرغبات:

صوت قريب: أيوه يابو علي.. موال كذا لمحمد..

صوت حزين: حاجة من قديم أبو عبدالله يسلمك..

صوت عال من خارج الغرفة: حسيبك الله..

صوت نشاز: أي حاجة يا أخي.. يالله سرّنا..

صوت واضح: يا جماعة أعطوه فرصة خلوه يأخذ راحته..

يعلو صوت الوتر قاطعاً ما عداه، يغني غريب مقطعاً من أغنية لم تكن مطلوبة، الجميع يطرب لها كأنها كانت رغبته..

ينتهي غريب من الأغنية يضع العود جانباً، يشعل سيجارة، يدير نظره في أركان الغرفة ثم يسأل:

– فين أبو سويد يا جماعة.. ما أشوفه؟

– يتقلب على جمر النار.. (ضحكة).

- يا رايق.. أي والله نبغى شيشة.

- خذلك نفس معسّل على بال ما تيجي الشيشة.

- يأخذ نفساً.. ينفخ دخاناً كثيفاً: يا سلام (غريب يقولها بنشوة)..

- يدخل أبو سويد في يده اليسرى رأس الشيشة الملتهب.. يمناه ملطخة بالسواد.. منشفة صغيرة على كتفه الأيمن.. قطرات من العرق على أنفه وجبينه.. بسمة تعلو محياه ناظرا إلى غريب: تتغلى علينا.. الله يا الدنيا!.. يثبت حجر الشيشة في مكانه، يمد باطن يديه باتجاه غريب قائلاً: أغسل يدي وأسلم عليك يا حلو..

الأحاديث في المجلس تصعد وتهبط بلا قرار، تارة أنت في برلمان، وأخرى كأنك تشاهد مسرحية بلا مخرج، حديث العامة وأخبار الكرة لا تخلو منهما الجلسة، الكل يدلي بدلوه.. هذا يشعل سيجارة.. وذاك يطالب بدوره في الشيشة.. اثنان في الركن البعيد: أحدهما يتحدث دائماً والآخر يستمع دائماً.. المجلس يزدان.

أحدهم يبدأ حديثاً بصوت جهوري:

- اليوم يا جماعة مرت بي ثمانين سنة تمشي على رجليها..

- كيف يعني؟

- شايب عندنا في القرية عمره ثمانين أنا عارف أنه باقي في سنّه أو حوله نَاس، لكن ما أدري إيش اللي خلاني أتساءل كيف كانت قريتنا قبل ثمانين سنة؟

- ولا يهمك..

- قصدك المهم كيف تكون القرية بعد ثمانين سنة..

- حتى هاذي ولا يهمك..

- يا أخي أنت إيش اللي يهمك طيب؟!

- (يؤشر بسبابته نحو الشيشة) اللي يهمني.. يصلني الحبل قبل ما ينتهي هذا الحجر وإلا لا؟

يموت الحوار.. يتناول غريب آلته.. يدندن بأغنية.. ينتهي منها معتذراً من عدم حفظه لجميع مقاطعها.. صوت مألوف: عاداتك والله يابو علي.. يطرح غريب العود جانبا ثم يهمس في أذن الأقرب منه مجلساً: الظاهر الليلة ما لنا نصيب في الشيشة.. ضحكات متقطعة.. يشعل سيجارة ويعاود الهمس قائلاً: آه لو شفت اللي شفته اليوم!

- وبعدين.. إيش حصل؟

- كفاية يا أخي، لازم تعرف كل حاجة!.. صحيح إنك ثقيل (يقولها ضاحكا).

- أنا أعرفك يابو علي.. لو أنك شفت حاجة ثانية أو حصل نصيب ما تخبي عليه!

- صادق.. لكنك يصمت قليلاً.. يأخذ نفسا ً عميقاً من سيجارته، ينظر إلى محاوره بعيني ضيقتين.. ينفخ في وجهه الدخان، يفرك بقايا سيجارته في المطفأة ثم يقول لازمته (مبتسماً): كيف حالك أنت؟!

هكذا هو غريب عندما يحدثك يفيض به الشوق يملأ جعبته بالأماني، يبوح لأصحابه، تتدفق ملء جرح الفؤاد لكنه أخيراً.. يؤوب إلى جرحه المتهيج!

تدق دفوف القمر من جديد، تتوقف الأحاديث، ها هو الوتر يجلي حكايته للمدى، تتدفق الدماء في يدي غريب، تنفلت من صدره الأغنيات، كأنما يحمل البحر في قلبه، يغرس بصوته الحُلم في خيال الجالسين، يمتد الصوت بعيداً.

يطل الصباح، طيور مهاجرة تلوح في الأفق، أجساد تمرغ فيها التعب، الأقدام تهيم على وجوهها في بطون الأودية، وجوه متشابهة إلى حد كبير.. لكنهم ينكرونها، قلق يدفع أصحابه إلى التفكير دون توقف.. الأشياء التي يكرهونها تلح عليهم أكثر من غيرها، أحدهم يصل إلى بيته أولاً.. يحدق في المرآة.. يتساءل: هل كانت وجوهنا جميلة.. أم كان ذاك وجه المساء؟!

* * *

ليلى علي رضا

(السعودية). صدرت لها مجموعة أغنية الرحيل ١٩٩٦م.

الذات والأنا

سارت بتؤدة خلف زوجها وقد أمسكت بيد رنية، ذات السبع سنوات، وذراعها الأخرى تنوء بحمل حقيبة اليد، وقد أثقلتها كل أوراق السفر ولوازم رحلة طويلة.

أمامها يمشي الولدان الأكبر سناً إلى جانبي والدهما. ليست معتادة على الخطى البطيئة، ولا الحجاب يغطي وجهها. فزوجها عادة لا يلزمها بذلك إلا في مكان عام، مثل المطار، فوظيفته الحكومية جعلته معروفاً عند عدد كبير من الناس.

على مدخل الطائرة توقف الجميع. قبل الأولاد أباهم وصافحت زوجها. فالوداع الحقيقي الحميم كان في البيت. وبعد التوصيات الأخيرة بالانتباه للنفس، وطاعة الأم، والوعد بلقاء قريب، استدار الأب للعودة ودخل الباقون إلى أماكنهم المحددة.

جلست في مقعدها، وكشفت عن وجهها وتنهدت. كل سنة تنتظر هذه الرحلة بفارغ الصبر. إجازة الصيف لا هربا من الحر فقط، ولكن من الرتابة والمسؤوليات والمشاغل التي تغلّ ساعاتها وتقيد تفكيرها طوال العام. فلا يبقى لها مجال للانعتاق إلى ما تتوق إليه من هوايات فنية أو رياضية أو حتى استرخاء.

انشغل الأولاد بالألعاب والتسالي التي أحضروها معهم. حتى رنية فتحت حقيبتها الملونة وتناولت عروستها النحيلة باري، وابتدأت تسرح شعرها الطويل الأشقر، كلهم معتادون على السفر وبرنامجه ومتطلباته منذ صغرهم. صحبتهم متعة لها وكل يقوم بدوره بدون تذمر.

ارتفعت الطائرة في الجو، فأزاحت الغطاء عن رأسها وهي تتناول العصير من المضيفة الأجنبية. وقبل أن يشرع بتقديم وجبة الطعام، خلعت العباءة وطبقتها مع الخمار الأسود ثم رتبتها بعناية في حقيبتها.

مـرت الرحلـة بسـلام بيـن أكـل ونـوم وقـراءة ومشاهدة الفيلم. ساعدها الأولاد في جمع الحقائب والاتجـاه إلى سيارة أجرة. كانوا جميعاً في أشد الحمـاس، يتكلمـون بسرعة ويضحكون بصوت عال، ويشيرون إلـى الأمـاكن المعروفة لديهم. وحين وصلوا إلى بيتهم المألوف، شـاهدوا ماريـا بجسـمها الضخـم تنتظرهـم، أسـرعوا نحوهـا يتصـايحون، يضمونهـا فتقبلهـم والدمـوع فـي عينيهـا "أولادي.. أولادي".

وبعد ماريا جاء دور الكلـب، فهجمت عليـه رنيـة تعانقه وتدلله وتردد اسمه بحب، وهو يلعق يديها وخدهـا.. نادتها الأم منبهة "رنيـة". ثم سكتت. فلتدعهـا هذه المـرة، بفرحة اللقاء، تتعدى الحدود التي وضعتها للعب مع الكلب.

أسـرع الأولاد إلـى دراجـاتهم يـدورون بهـا فـي الحديقة، وضعت هي سترتها واتجهت إلى المرآب، وهناك رأتها، حمـراء، لماعـة، سـاكنة، تجثم بانتظارهـا. لامست الباب بيدها قبل أن تجلس خلف المقود تحوطـه بذراعيهـا، ثم ترخي رأسها عليه وتبتسم بحنو.

تذكرت أول مرة أتت مـع زوجهـا إلـى هذا البلـد، وكان قد مضى علـى زواجهمـا سنتان، وقـرر أن يمضـي الإجـازة الصيفيـة فـي المنطقـة التـي أكمـل فيهـا دراسـته

الجامعية وتخصصه، كان كل شيء جديداً بالنسبة لها، وحاولت أن تتكيف مع العادات المعيشية، ولكنها أدركت بسرعة أنها ما لم تتعلم قيادة السيارات، فستظل عالة على زوجها. وفوق ذلك، بالنسبة لأهل البلد ستكون معاقة. كان وجود سيارة وقيادتها ضرورة، وبدونها أحست كأنها مقطوعة القدمين، مقيدة في مكانها، أو طفلة قاصرة تنتظر من الآخرين الأخذ بيدها إلى حيث تريد الذهاب.

ولم يعارض زوجها، بل شجعها، خاصة حين قرر أن يشتري منزلاً لقضاء الصيف كل سنة، مبتعداً بذلك عن أسرته التي لاتزال تتردد على البلد الذي اعتادت عليه منذ أكثر من عشرين سنة.

حين استلمت إجازة القيادة أحست بتغير غريب يسري فيها، فقد طالت ساقاها وامتدت ذراعاها، شعرت أن المسافات قد قصرت، والأبعاد قد قربت، وأنه قد نبت لها جناحان تستطيع التحليق بهما متى شاءت.

تحولت من امرأة عاجزة عن عمل أي شيء بنفسها، ضعيفة عن اتخاذ أي قرار وحدها، ضائعة في بلد غريب، إلى ذات أخرى، قوية الشخصية، غير مترددة ولا خائفة، ترتاد طرقات لا تعرفها، وتكتشف قدرات لم تكن تدري عن وجودها. كانت تدفع بنفسها في مجالات جديدة، تكتشف وتبتكر، وتحل مشاكل لم يُطلب منها حلها من قبل.

ابتدأ هذا التحول في السنة الأولى من وجودها في هذا البلد، ولكنه تعمق، وتكثف وتجذر في كل صيف بعده. في البدء كانت عودتها إلى موطنها إشارة وعلامة إلى أن هذه الذات الجديدة لا محل لها هنا. فهي لا تقود سيارة، ولا تتخذ القرارات، ولا تتصل بأصحاب الشأن ولا تحل مشاكلها بنفسها. هي شخصية شفافة صامتة، لا من يستمع إليها أو يؤمن بوجودها إلا من خلال زوجها؛ عتبت، وتعذبت، وقاومت، وانهارت مرة.

ولكن، شيئاً فشيئا استطاعت أن تجد توازنها، فتستوي في الحل والترحال وتلبس لكل حالة رداءها، وتضع لكل موقف قناعه.

ولكن من هي؟ حقيقة إلى أي أرض تنتمي؟ موطنها الأصلي الذي فيه ولدت وتربت ودرست. ونشأت على تقاليد عتيقة كممتها وغللتها. دفنت قدراتها، ولكن في الوقت نفسها أحاطتها بمحبة عميقة، ودفء وطمأنينة بأنه مهما كانت احتياجاتها أو مشاكلها، فلن تجد أنها بدون معين؟ أم هذا البلد الغريب الذي حور طاقاتها ونمّى معارفها، وفجر فيها ينابيع النشاط والعطاء، وفي الوقت نفسه ترك في أعماقها حوفاً طفولياً في الوحدة والوحشة، والتحول من شخص معروف، في محيط مألوف، إلى نمر وأرقام في بطاقات تعريف بلاستيكية.

تدافع الأولاد في السيارة حين أوصلتهم إلى المخيم الصيفي الذي يرتادونه كل سنة، ويقضون فيه بضع ساعات في النهار في لهو ورياضة وهوايات، ثم توجهت إلى المخزن الكبير، وهناك في عربة ضخمة، مستعينة بلائحة طويلة تحملها، جمعت ما يحتاجه المنزل من مأكل ومشرب وأغراض شتى. وبعد أن سلمت ماريا كل الأكياس، عادت مرة أخرى إلى السيارة. ذهبت إلى النادي الرياضي الذي تمضي فيه ساعة كل يوم، تدرب فيه مفاصلها على المرونة، وعضلاتها على التحمل. وجسمها على الاسترخاء.

خرجت نشطة بعد أن تناولت كوباً من عصير البرتقال. وفي السيارة، مع هاتفها النقال، اتصلت بصديقتها حيث واعدتها على اللقاء عند مدرسة الرسم، ثم اتصلت بطبيب الأسنان لتعيين مواعيد الأولاد، ثم تذكرت أنها وعدت بمرافقتهم إلى السينما قبل العشاء. فمرت على الدار القريبة وتأكدت من أوقات العرض بالنسبة للفيلم الملائم لسنهم.

في عودتها إلى المنزل، اتخذت الطريق الأطول والأجمل. تتابعت الحقول الخضراء أمام ناظريها، تفصلها عن بعضها أشجار باسقة، لا تكاد تخفي الدور الفخمة

وحدائقها المنسقة. السماء صافية، لا سحابة تعكر زرقتها، وهي، في سيارتها، صافية الفكر، لا غيمة تكدر بالها. أحست أنها في وحدة مع ذاتها ومع دنياها، وان هذه الطريق الطويلة المستقيمة ستقودها إلى ما تبحث عنه من سكينة وبهجة.

أفاقت من أحلامها على صفارة وسيارة الشرطة تعترضها، توقفت وفتحت النافذة. اقترب منها الشرطي، وبابتسامة تراوح بين الجد والهزل سألها:

– أي موعد هذا الذي جعلك تتخطين حدود السرعة المسموحة؟

ردت عليه، بنفس ابتسامته: "موعد مع نفسي".

* * *